بسم الله الرحمن الرحيم

# الأصول العلمية للدعوة السلفية

## الباب الأول

## بين يدي الكتاب

## مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله حمداً يليق بذاته، ويكافئ مزيد إحسانه، ويتجدد بتجدد نعمه وأفضاله. والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الداعي إلى الصراط المستقيم، والهادي إلى دينه القويم. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

فمنذ سبع سنوات تقريباً صدرت أول طبعة لهذه الرسالة المباركة، التي تلقفتها أيدي إخواننا السلفيين في كل مكان، حيث استنسخها بعضهم بقلمه، وتداول آخرون النسخة الواحدة واحداً بعد واحد، وصورها آخرون ووزعوها ونشروها، وكل ذلك من فضل الله وإحسانه.

ولقد كانت -على صغر حجمها- وافية بحمد الله في موضوعها، واضعة معالم الطريق السلفي، مرشدة لأهداف الرسالة الإسلامية، موضحة غايات الدعوة السلفية، واضعة أصول المنهج السلفي الذي هو المنهج القويم لفهم الإسلام والعمل به، والذي هو بحمد الله طريق الخلاص للأمة وسبيل عزتها ونصرها.

ولقد شاهدنا بركات ذلك ودلائله بحمد الله؛ فالنماذج السلفية الفريدة التي تربت على هذا المنهج قد أثبتت بأخلاقها وصفاتها وعلمها وعملها أنها على طريق السلف الصالح حقاً، وعلى مثال قرون الخير الأولى صدقاً، وأن هذا الدين لا تنتهي عجائبه ولا تنفد ذخائره، وأنه لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين حتى يقاتل آخرهم الدجال.

رأينا بحمد الله الأخوة السلفيين الذين درسوا على هذا المنهج فهموا الإسلام فهماً سليماً صحيحاً، وطبقوه في أنفسهم وذويهم، وقاموا بواجب الدعوة إلى الله على علم وبصيرة، وتصدوا لكل انحراف في العقيدة والشريعة والسلوك، وقاوموا أهل الباطل، وجاهدوا بكل أنواع الجهاد المتاحة لهم، وأعادوا للإسلام إشراقته وبهجته وحياته وحركته وشبابه ونضرته. ولا يزال ركب الخير والحمد لله كل يوم في زيادة.

## شبهات وردود:

ولم تسلم الدعوة السلفية المعاصرة من أهل الهون الذين ما فتئوا يلقون شـبهاتهم حـول الـدعوة، ونحمد الله سـبحانه وتعـالى أن هـذه الشـبهات تسـقط دائمـاً تحت الأقدام، وتتعرى دائما مع الأيام، ويستطيع كل طالب مبتدئ فهم الإسـلام على منهج السلف الصالح أن يرد على هذه الشبهات.

ومن هذه الشبهات على سبيل المثال: قولهم: لماذا تتسمون بالسـلفية وهو لم يـرد في كتاب ولا سنة؟".

والـرد على ذلك أن نقـول: إن إطلاق الأسـماء على أي حقيقة لا ضـرر منه مطلقـاً، سواء في الشرعيات أو المباحـات، والتسـمية لأي أمر شـرعي -إذا لم يشـتمل على باطل- فليس فيه ضرر، بل قد يكون هذا من الواجبات:

كما أطلق المسـلمون على علم الإسـناد: (مصـطلح الحـديث)، ولم يكن على عهد الرسـول مثل هـذا العلم، وليس هـذا بدعـة؛ لأن التثبت في الأخبـار والنقل عن الرسول مطلوب.

وكذلك سمي بعض المسلمين بـ (المهاجرين) من أجل الهجرة، وبعضهم بـ (الأنصار) من أجل النصـرة، وبعضـهم بــ (التـابعين) من أجل اتبـاعهم للسـلف من المهـاجرين والأنصار المشهود لهم بالخير.

فما هو الضير من أن نتسمى بـ (السلفيين)؛ أي: الذين يتبعون منهج السلف الصـالح في فهم الدين، والسلف الصالح الذين نتبعهم هم الصحابة وتـابعوهم بإحسـان، وهم خير القرون.

وهذه التسمية ضرورية؛ لتميز هذه الطائفة المهتدية عن سائر طوائف الضلال الذين تركوا منهج الصحابة في فهم الدين، واتبعوا طريق الخوارج الغـالين المتشـددين، أو المؤولين المتنطعين، أو المقلدين الجامدين.. الخ.

ومع هذا؛ فنحن لا نتعصب لهذا الاسم، بل نحب كل مسلم يشـهد الشـهادتين ويعمل حسب اسـتطاعته بمقتضـاهما، ونـوالي كل مسـلم يحب الله ورسـوله، ولا ننصر السلفي إن كان مبطلاً، ولو كان عدوه كافراً؛ فنحن لا نوالي السلفي في الظلم، بل نوالي كل مسلم حسب دينه واعتقاده وإيمانه.

ونحن في النهاية حملة دعوة تسمى (الـدعوة السـلفية). وهـذه الـدعوة منهج كامل لفهم الإسلام والعمل به والدعوة إليه...

وقد تضافر العلماء السلفيون على شرح هذه الدعوة وبيانها عبر القـرون وإلى يومنا هذا، ونحن على منهج هؤلاء العلماء العاملين: فمن يستطيع أن يسـتغني عن أصـول الفقه التي كتبها الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة"؟!

ومن يستطيع أن يستغني عن مناقشات ابن عبـاس وعلي بن أبي طـالب رضي الله عنهما للخوارج ورده عليهم في استحلال أعراض المسلمين وأموالهم بالمعصية؟!

ومن يستطيع أن يستغني عن فقه مالك وردود الإمام أحمد على شبهات الزنادقة وكتابات الإمام ابن تيمية في المصالح الشرعية وردوده على الفرق الضالة؟!

كل هذا وغيره مما يشكل قواعد المنهج السلفي لا غنى عنها بتاتاً لطالب العلم المعاصر، هذا بالإضافة -أولاً وقبل كل شيء- إلى نصوص الكتاب والسنة.

وهذه هي السلفية، تعني في جملتها الاتباع المستبصر لنصوص القرآن والسنة، واحترام العلماء الذين قاموا بفهم هذا الدين وتبليغه، واقتفاء آثارهم في ذلك.

وعلى كل حال؛ الذين ينكرون على السلفيين اسمهم لم يسلموا هم أيضا من أن يطلقوا على أنفسهم اسماً ما يتميزون به.. وهكذا يتهمون غيرهم بما هو فيهم، وهذا هو اتباع الهوى.

والفرق بيننا وبين غيرنا أننا لا نتعصب لهذا الاسم، ولا نهادي عليه، ولا نجعله شعاراً بديلاً عن الإسلام، بل نحن مسلمون أولاً وأخيرا إن شاء الله، بهذا سمَّانا الله، وقد رضينا بالإسلام ديناً.. و (السلفية) لا تعني عندنا أكثر من الإسلام الصحيح الموافق للكتاب والسنة والمتبع للسلف الصالح رضوان الله عليهم.

الشبهة الثانية: قول بعضهم: "أنتم مقلدون".

وهذا افتراء؛ فلسنا مقلدين، وإنما السلفي الحقيقي متبع للحق والدليل، معظم لعلماء الأمة، مقدر لجهودهم، وغير متطاول على فقههم وعلمهم. ومتبع للحق أنَى وجده؛غير طعَّان ولا لعَّان ولا فاحش ولا بذئ.

والسلفي الحقيقي أيضاً يستحيل أن يكون غلاماً لم يبلغ الحلم بعد وقد درس قليلاً من القرآن والسنة، ثم يضع نفسه موضع علماء الأمة المشهود لهم بالخير والفضل، فيقول مثلا: أنا مثل مالك أو الشافعي! أو أفهم كما يفهم أحمد بن حنبل وأبو حنيفة!! بل يضع نفسه موضعها، ويعرف حق سلف الأمة وعلمائها، ويجلهم، ويحترمهم، ويقدسهم؛ بقدر تقديسهم للحق واتباعهم له، وإذا رأى شيئا من أقوالهم مخالفاً للدليل؛ اتهم نفسه أولاً بعدم فهم الدليل، وعذرهم ثانياً في اجتهادهم، لربما لم يصل إليهم الدليل، وربما فهموا من دلالته غير ما فهمنا نحن؛ كما نصً على ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام".

وقد رأيت بعيني غلمانا لم يتجاوزوا السابعة عشرة من عمرهم، لم يحصلوا من العلم إلا قليلاً، إذا ذكر له اجتهاد إمام؛ يقول: "نحن رجل وهم رجال".

عجباً! متى كنت رجلاً في العلم حتى تضع نفسك على قدم المساواة مع أولئك؟!

وكان الأولى أن تقول: هذا ما فهمته، أو: هذا حد علمي، ولم يتعبدني الله إلا بما استطعت فهمه وإدراكه.

باختصار: السلفيون ليسوا مقلدين، وإنما هم متبعون.

ثم هم أيضا ليسوا من أهل الوقاحة والتطاول على مقـام العلمـاء بـالتجريح والطعن والتشـنيع، وإنما مقـالتهم دائمـاً: {رَبَنَا اغفـرْ لَنَا وَلإخوَنِنَا الـذينَ سَـبَقونَا بـالإيمَن وَلاَ تَجعَل في قلوبنَا غلا للذينَ ءامَنوا رَبَنَا إنَكَ رَءوف رَحيم} (الحشر:10).

وكـــذلك الســـلفيون يـــردون ما اختلف فيه من علم إلى كلام الله وكلام رســـوله، ويسترشـدون في فهم كلام الله وكلام رسـوله بكلام أئمتهم وسـلفهم الصـالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وليس عيبا أن نسترشد بأقوال هؤلاء لنفهم مراد الله ومراد رسـوله؛ لأننا لم نشـاهد التنزيل أولاً، والصحابة أعلم منا بكلام الله وكلام رسـوله، وكـذلك العلمـاء المشـهود لهم بالخير أفقه منا وأعلم، وذلك بإخلاصهم وتفرغهم الطويل للعلم والعمل.

وأما أن يكون الأطفال والغلمان الـذين لم يحسـنوا بعد النطق بـالقرآن وفهم الجـار والمجرور والفعل والفاعل على قـدم المسـاواة مع أئمة الـدين وسـادة المسـلمين؛ فهذا هو الضلال المبين.

ولقد رأيت بنفسي كيف يتلاعب بكلام الله وكلام رســـوله من بعض الغلمـــان؛ ممن جعلوا أنفسهم علماء بالقرآن والسنة، وأخـذوا يفتـون في الحلال والحـرام والـدعوة والسياسة والعبادات وسائر المعاملات بمخاريق وألاعيب تجعل دين الإسـلام الحكيم أشبه بدين المجانين والحمقى والمغفلين!

فأي حماقة أكبر من أن يتصدى لتبليغ الذين واسـتنباط الأحكـام من القـرآن والسـنة من لا يفهم العربية ولا يدرك من أصول الفقه وقواعده شيئا؟!

وباختصار؛ السلفي ليس مقلـداً، وهو أيضـاً ليس متبجحـاً وقحـاً، يـزعم أنه يسـتطيع الاستغناء عن فهم الصحابة والتابعين وعلماء الأمة وسادتها الذين حملـوا هـذا الـدين بحق وبلغوه بإخلاص عبر عصور الإسلام إلى يومنا هذا.

ولكن السـلفي الحقيقي متبع مسترشد مبصـر، بـاحث عن الحق أبـداً، وعن الـدليل مطلقاً، معظم لعلماء الأمة وساداتها، غير مفتش عن العيوب والهفوات الـتي لم ينج منها أحد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، ملـتزم بجماعة المسـلمين، عامل على وحدتهم، غير داع إلى فرقة وخصام لجاجة. هـذا هو السـلفي الحقيقي، ونسـأل الله أن يجعلنا كذلك.

هذه إضافة لا بد منها في مقدمة هذه الرسالة المباركة إن شـاء اللـه، وقد يسر الله لي أن انظر في الرسـالة مـرة ثانيـة، وأنقح بعض عباراتهـا، وأزيد في آخرها إضـافة جديدة عن أهم مميزات الدعوة السلفية وبركاتها.

والله سبحانه أسـأل أن يكتب هـذا عنـده في مـيزان حسـناتنا، وأن يجمع هـذه الأمة على كلمة سـواء، وأن يأخذ بأيـدينا لعـزة الإسـلام ونصـره، والله غـالب على أمـره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

عبدالرحمن عبدالخالق

الكويت الجمعة 26 محرم 1403هـ

12 نوفمبر 1982م

## مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

فقد ابتلي المسلمون خلال تاريخهم الطويل بفتن عظيمة، ونسب إلى هذا الدين كثير من البدع والضلالات، وألقي على الكتاب الكريم كثير من التحريفات والشبهات، وتعرضت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم للانتحال والوضع تارة، والرد والإبطال تارات.. وكانت الواحدة من هذه العظائم كافية لطمس معالم الدين، وتضيع أصوله، وتشويهه، وإتلافه؛ لولا أن الله سبحانه وتعالى شاء حفظه وأراد، ورد كيد أعدائه، وجعل سعيهم في تحريفه إلى ضلال، وهيأ في كل عصر من عصور الإسلام من ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، ولولا ذلك؛ لانطمست طريق هذا الدين كما انطمست اليهودية والنصرانية.

ولقد كانت هذه الحركات التصحيحية التجديدية لهذا الدين هي الحركة السلفية التي حافظت على أصول هذا الدين نقية خالصة، ونفت عنه كل بدعة، وردت عنه كل ضلالة، وصححت كل تأويل وتحريف.

فالصحابة العدول رضي الله عنهم نقلوا الأمانة كاملة، وبلغوها غير منقوصة، ووقفوا بالمرصاد لكل تأويل باطل وكل انتحال وتحريض، وحمل الراية من بعدهم علماء التابعين ومن وراءهم.

وفي عهدهم اتسعت دائرة الأمة الإسلامية، وكثر الداخلون من الفرس والروم والشعوب الأخرى، وأراد بعضهم أن يدخل في الدين ما ليس منه؛ بقصد أو بغير قصد، فقام هؤلاء العلماء الأجلاء حراساً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحفظ لنا التاريخ جهادهم في هذا السبيل؛ حرباً للمبطلين، ورداً للزيف عن هذا الدين، ووقوفاً في وجه انحراف الحكم والسياسة، ونشراً للدين النقي الخالص في كل الربوع، حتى سلموا الراية لمَن بعدهم في العلم والإيمان كاملة، عزيزة الجانب، ظاهرة عالية.

وما يزال هذا الدين يخوض المعركة برجاله المخلصين وأبنائه البررة الميامين، الذين أخلصوا دينهم لله، فآمنوا بكتاب الله كما أنزل، وبسنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم كما جاءت، وتمسكوا بهما، وعضـوا عليهما بالنواجـذ، وحـاربوا كل أفـاك أثيم، يروم حمى هذا الدين؛ تحويلاً له وتحريفاً، أو زيادة له ونقصاً، وتمزيقاً له وتقطيعاً.

وفي عصرنا الراهن زادت الهجمة على هذا الدين، وتميزت قلوب الكافرين عليه من الغيظ؛ أن دامت سيادته كل هذه القرون، واستمر عزه كل تلك السـنين.. ورأوا من أبنـاء الإسـلام غفلة عن كتـاب ربهم وسـنة رسـوله الـذين كـان بهما العز والنصر والغلب، فأمكنوا السيوف من رقابهم، وأعملوا الفساد في هذا الدين برجال أعدوهم لهذا، ودربوهم عليه من أبنائهم أولاً، ونشؤوا من أبناء المسلمين تلامذة لهم، يقولون ويعتقدون مثل ما يعتقدون، فحارب الإسلام أبناؤه، وطعن الكتـاب والسـنة ورائهمـا. وليس لهذه الفتن الماحقة إلا رجال ينشؤون على الطراز الأول والمنهاج الأنف الذي كان به العز والسيادة والنصر والتمكين.

ورحم الله مالكاً إذ يقول: "لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

رجال يعلمون الكتـاب كما أنـزل، والسـنة كما بلغت؛ حسب الأصـول والقواعد الـتي وضعها علماء السلف؛ جيلاً بعد جيل، وعصـراً بعد عصـر، ويقفـون بعد ذلك في وجه هذا الباطل الزائف الذي ملأ الأرض شراً أو كاد.

والله غالب على أمره، وقد شاء أن تظل طائفة من هـذه الأمة على الحق منصـورة ظاهرة إلى قيام الساعة.

وهذه الرسـالة المـوجزة المختصـرة بيـان واضح للأصـول الـتي ابتـنى عليها مـذهب علمـاء السـلف في فهمهم للكتـاب والسـنة والعمل بهمـا، أردنا بها توضـيح الطريق لسالكها؛ حتى لا تختلط الدروب، ويعمى على الناس الطريق المستقيم من الطـرق المعوجة الهالكة.

والله أسأل أن ينفع بهذا البيان ما بقيت الدنيا؛ إنه سـميع مجيب، وأن يجعله خالصـاً لوجهه الكريم.

عبدالرحمن عبدالخالق

الكويت ربيع الثاني 1395 هـ

## الباب الثاني

## الأصول العلمية للدعوة السلفية

### أولاً: التوحيد

الأصل الأول من أصول الدعوة السلفية هو التوحيد. ولا يعني هذا الأصل ما يؤمن به وما يفهمه كثـير من النـاس من معـنى التوحيـد، وهو أنه لا خـالق إلا اللـه، بل يفهم السلفي ويعلم من معاني التوحيد أصولاً عظيمة، وقضايا كبيرة، الإخلال بقضـية منها إشراك بالله تعالى، أو إلحاد في أسمائه.

وكثير من المسلمين يجهل كثيراً من هذه الأصول والقضايا، فيقع في الشرك، ويظن نفسه مؤمناً موحداً، والحال أنه إما أن يكون ملحداً في صفات الله وأسمائه مؤمناً بها على وجه آخر، أو مشركاً عابداً لغير الله سبحانه وتعالى.

وأصول التوحيد في المعتقد السلفي كما يلي:

أولاً: الإيمان بصفات الله سبحانه وأسمائه على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى دون تحريف أو تأويل.

فالله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه في آيات كثيرة جداً، ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة جداً، مدونة في كتب السنة؛ كالبخاري، ومسلم، و "مسند" الأمام أحمد، وغير ذلك؛ مما هو صحيح ثابت حسب قواعد أهل مصطلح الحديث.

وما أخبرنا الله بذلك عن نفسه؛ إلا لنصدق ونؤمن.

بل الأيمان بصفات الله سبحانه وتعالى هو أكبر قضية من قضايا العبادة والأيمان؛ كما جاء في الحديث: أن: {قل هو الله أحد} تعدل ثلث القرآن، وليس فيها إلا صفة الله سبحانه وتعالى.

والمحرفون المؤولون عمدوا إلى هذه الآيات، فحجبوا نورها عن المسلمين:

فإما أن يقولوا: هي آيات متشابهة، لا نخوض في معناها، ونؤمن بها كما جاءت؛ يعنون: أنه لا يجوز للمؤمن أن يفهم من معناها شيئاً، فيكون عند ذلك {وجاء ربك والملك صفا صفا}، كقوله تعالى: {الم}، {كهيعص}، فكما أننا لا نفهم معنى محددا من هذه الحروف المقطعة؛ فآيات الصفات عندهم كذلك.

وبذلك حجبوا نور هذه الآيات أن ينفذ إلى قلوب المؤمنين، وأن يستشعر المسلم عظمة الله كما يليق بجلاله وعلو شأنه وذاته.

وبذلك فرغوا التوحيد من أعظم قضاياه، وهو الإيمان بصفات الله جل وعلا.

وهل الإيمان إلا امتلاء القلب بنور صفات الله وإشراقه بمعرفة إلهه ومولاه؟!

ومع ذلك؛ فقد زعموا -وخاب زعمهم- أن هذا الإيمان الأبله هو معتقد السلف، وحاشاهم، بل هم آمنوا بآيات الصفات وفق معناها الذي نزلت به باللغة العربية، مؤمنين أن الله جلت قدرته وعظمته لا يقدر قدره على الحقيقة إلا هو سبحانه وتعالى.

وإما أن هؤلاء المؤولين يعمدون إلى آيات الصفات، فيحرفونها؛ زاعمين أنه تأويل! فيؤولون مجيء الله يوم القيامة بمجيء أمره، واستواءه على عرشه باستيلائه عليه، ويده بقدرته، ووجهه سبحانه وتعالى بذاته..

ولا يؤمنون بذات فوق العرش، وإنما يقولون: ليس ثم عرش، وإنما العرش الملك، وليس لله مكان، فليس هو في مكان، بل إما أن يقولوا: لا مكان له في شيء من العالم، بل ولا خارجه.

ولذلك لا يجوز عندهم أن يقول مؤمن: ربي في السماء. فإنهم يبدعونه، وقد يكفرونه.

ويأتون إلى الأحاديث التي تذكر فيه صفة الله؛ كـ [ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة]، فيسبون من يصدق ذلك بأقبح السباب، ويقولون: بل تنزل رحمته، وأما هو سبحانه وتعالى؛ فلا ينزل ولا يصعد؛ لأنه ليس فوق العرش شيء، بل ما ثم هناك عرش.

وينفون عن الله سبحانه وتعالى كلامه، ويزعمون أن الله إذا أراد أن يكلم أحداً؛ خلق فيه الفهم لمراده، فيكون كلام الله عندهم؛ كالنفث في الروع، وبذلك يكذبون أحاديث البخاري التي جاء فيها أن الله يتكلم يوم القيامة بصوت يسمعه من قرب كمن بعد؛ قائلاً: [أنا الملك! أين ملوك الأرض؟] (رواه البخاري).

وقد فصلنا هذه الأقوال والردود عليها بحمد الله في محاضرات التوحيد.

والمهم هنا الإشارة إلى هذه الطوائف من المسلمين، الذين زعموا الهداية لأنفسهم، وهذا كذبهم على الله وافتراؤهم عليه.

فإذا كان الله قد أنكر أشد الإنكار على من قال: إن الله حرم هذا، ولم يحرمه الله؛ فكيف بمن وصف الله حسب هواء، فعمد إلى آياته فحرفها، وأحاديث رسوله فحجب نورها، وضلل المصدق المؤمن بها؟!

وخلاصة هذا الأمر الأول: أن السلفي يؤمن بصفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى؛ كما جاءت في كتابه، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، سواء كانت أخباراً متواترة، أو أخبار آحاد صحيحة.

فخبر الآحاد الصحيح يوجب العلم والعمل؛ لأنهما سواء؛ فلا علم دون عمل، ولا عمل دون علم بل لا يجوز لمسلم أن يعمل عملاً ما من أعمال الدين إلا إذا ثبت عنده صدق المخبر به عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم.

وبذلك يفترق السلفي عن جمهور كثير يظنون أنفسهم موحدين لله، وما هم كذلك، وقد حرفوا صفات الله، ومنعوا الناس عن الإيمان بها والتصديق بمعانيها، أو بدلوا لهم معانيها وأمروهم أن يؤمنوا بها على نحو آخر.

ثانياً: إفراد الله سبحانه وتعالى وحده بالعبادة.

وعندما نقول: إفراده بالعبادة؛ فلا نعني الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط، بل نعني كل ما يندرج تحت هذه اللفظة من معانيها، وعلى رأس ذلك الدعاء.

فالدعاء هو العبادة، فلا دعاء لغير الله كائناً من كان؛ رسولاً أو ولياً حقاً أو ولياً مزعوماً.

ويأتي بعد الدعاء: السجود، وأنواع من الحب، والتعظيم، والخشية، والخوف، وكذلك الذبح والنذر، والرغبة.

وكل هذه الأمور من حق الله سبحانه وتعـالى، وقد صـرفها كلها أو بعضـها كثـير من الناس لغير الله، ويكفيك زيارة واحدة لقبر من القبور المشيدة حتى تشاهد كل ذلك الطلب الصـريح من صـاحب القـبر بكل ما لا يجـوز أن يطلب إلا من اللـه؛ كشـفاء المرضى والانتصار من الأعداء، والشفاعة عند اللـه، والمـدد، وإعطـاء الأولاد، وخـير الدنيا..

وبالجملة؛ فإنه يطلب من هؤلاء الأمـوات خـيري الـدنيا والآخـرة، وهـذا شـرك أكـبر، مخرج من ملة الإسلام.

ويفعل هذا طوائف كثيرة ينسبون إلى الإسلام!

ولا يكتفــون بالــدعاء، بل ويــذبحون لهــؤلاء تقربــا؛ كما كــانت الجاهلية تفعل عند طواغيتها، وينذرون لهم، بل ويطوفون بالقبور كما يطاف بالكعبة، ويسـجدون عنـدها كما يسجد لله، وليس هناك شرك أكبر من هذا.

وهـذه الأمـور لا يصـنعها عـوام النـاس وجهلاؤهم فقـط، بل ويصـنعها كثـيرون ممن يزعمـون العلم الشـرعي، ويحملـون فيه شـهادات عريضـة، وكـذلك من يزعمـون التقوى والصلاح من أهل الطرق الصوفية والمناهج العبادية المبتدعـة، ولا تجد دينهم ينبني إلا على تعظيم هذه القبور وبنائها وإسراجها ودعوة الناس إلى الذبح لها والنذر لها ودعائها من دون الله عز وجل، بل والطواف بها.

وقد أصبح الله عند هؤلاء نسياً منسياً؛ لا يـدعى ولا يـرجى إلا بواسـطة هـذه القبـور والأضــرحة، ويظنــون بعد ذلك أنهم مســلمون، وما هم بمســلمين، وقد شــابهوا المشـركين الـذين عبـدوا غـير الله وقـالوا: {ما نعبـدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} (الزمر:3).

والدعوة السـلفية تجعل نصب عينها تطهـير معتقد النـاس من هـذا الشـرك الظـاهر الجلي، الــذي لا يمــاري فيه إلا مشــرك، ولا يكــابر فيه أو يــدافع عنه إلا مطمــوس القلب، بعيد عن نور التوحيد والإيمان.

ثالثاً: الإيمان بأن لله وحده سبحانه وتعالى وليس لأحد سواء حق التشريع للبشر في شؤون دنياهم.

كما قال جل وعلا: {والله يحكم لا معقب لحكمه} (الرعد:41).

وكما قال سبحانه: {إن الحكم إلا لله} (الأنعام:57).

فالتشريع حق للرب جل وعلا؛ فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه اللـه، والـدين والمنهج والطريق والصبغة هو ما شرعه الرب جل وعلا.

واعتــداء ســلاطين الأرض وملوكها ورؤســائها على شــرعة اللــه؛ بتحليل ما حــرم، وتحريم ما أحل: عدوان على التوحيد، وشـرك باللـه، ومنازعة له في حقه وسـلطانه جل وعلا.

وأكـثر سـلاطين الأرض اليـوم وزعماؤها قد تجـرؤوا على هـذا الحـق، وتجـرؤوا على الخالق الملك سبحانه وتعالى، فأحلوا ما حرم، وحرموا ما أحل، وشرعوا للناس بغير شرعه؛ زاعمين تارة أن تشريعه لا يوافق العصر والزمن، وتـارة أنه لا يحقق العـدل والمساواة والحرية، وأخرى بأنه لا يحقق العزة والسيادة.

والشهادة لهؤلاء الظالمين بالإيمان عدوان على الإيمان وكفر بالله سبحانه وتعالى.

ونأسف إن قلنا: إن سواداً كبيراً من النـاس قد أطـاعوا كـبراءهم فيما شـرعوا لهم من شرع مخالف لشرعه سبحانه وتعالى، وكثير من هذا السواد يصـلي ويصـوم -مع ذلك- ويزعم أنه من المسلمين.

والدعوة السلفية جهاد بكل معـاني الجهـاد؛ لـرد الحق إلى نصـابه، وجعل الـدين لله وحده، وتخليص الأمة من هـذا الشـرك الأكـبر والكفر البـواح الـذي استشـرى فيهـا، وذلك لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، ولا تكـون كـذلك في واقع النـاس؛ إلا إذا كـان الحكم لله وحـده، والتشـريع لله وحـده؛ وفق ما جـاء في كتابه، وعلى لسـان رسـوله صـلى الله عليه وسـلم، ووفق ما يجتهد فيه أئمة العصر من المسلمين؛ ليتوصلوا باجتهادهم إلى ما يرضي ربهم، ويوافق شرعته.

وتخليص الأمة من هـذا الشـرك بالبيـان والـدعوة والجهـاد واجب؛ لأن هـذه القضـية إحدى قضايا المعتقد السلفي.

رابعاً: نؤمن في المنهج السلفي أن قضايا التوحيد الثلاثة السالفة قضـايا لا تتجـزأ ولا تقبل المساومة؛ لأنها أركان في فهم العقيدة السليمة وفي معنى لا إله إلا الله.

فمن آمن بإله واحد؛ يجب أن يعتقد أنه هو الموصوف سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه يجب الإيمان به وفق هذه الصفات.

وكذلك يجب دعاؤه سبحانه وتعالى وحده، وإفراده بسـائر أصـناف العبـادة؛ من ذبح، ونذر، وخوف، وخشية، وإنابة، وتوكـل، وحلـف، وتعظيم، وتطهـير القلب مما يخـدش هذا التوحيد أو يلغيه.

وكذلك يجب الإيمان والعمل لتكون كلمته وشرعه هو الأعلى وهو المحكم في حيـاة النـاس جميعهـا؛ فلا دين إلا ما شـرع، ولا طاعة إلا لله أو ما يقتضي أن تكـون طاعة الله؛ أعني: لا طاعة لمخلـوق إلا بما يوفق طاعته سـبحانه، فـإن خـالف طاعتـه؛ فلا طاعة.

والمنهج السـلفي يأخذ هـذه القضـايا جملـة، ويطهر قلـوب أتباعه من الشـرك فيها جميعاً؛ لأننا نعتقد أن من مات وهو يـدعو غـير اللـه؛ لم يكن من أهل الجنـة، ونعتقد أيضا أن بعض التحريف لمعاني الصـفات والأسـماء؛ شـرك بالله وكفر بـه، وإن كـان بعضه لا يبلغ ذلـك، ونعتقد كـذلك أن من حكم بغـير ما أنـزل اللـه؛ فهو كـافر، ومن اعتقد أن لأحد من البشر أن يشرع للناس في شؤون معاشهم ودنياهم دون الرجوع إلى شرع الله والالـتزام به والسـير بمقتضـاه؛ فقد عبد غـير الله وأشـرك به شـركاً جليـاً؛ كما قـال تعـالى: {فلا وربك لا يؤمنـون حـتى يحكمـوك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً} (النساء:65).

هذه القضايا الثلاث السالفة هي الأركان الـتي يقـوم عليها الأصل الأول من الأصـول العلمية للدعوة السلفية.

إنها قضايا التوحيد الثلاثة التي إذا اختل شرط منها؛ اختل أصل التوحيد.

وهذا الأصل هو بمثابة المدخل للمعتقد السـلفي؛ لأن التوحيد هو أهم قضـايا الـدين، بل رأسه، وبدونه لا يكون المسلم مسلماً.

وتحت القضـايا السـالفة توجد كثـير من الفرعيـات والتفصـيلات، قد بينا بعضـها في مواضع أخرى، وقد فصلها علماء السلف عبر القرون في كتبهم.

والسـائر في المنهج السـلفي يجعل نصب عينه دائما تعلم هـذه الفرعيـات؛ تكميلاً لتوحيده، وتثبيتاً لإيمانه.

وبهذا الأصل يفترق المنهج السلفي عن كثير من مناهج الإصلاح المنسـوبة للإسـلام، التي لا تدخل هذه القضايا في حسبانها، ولذلك نجد أن كثـيرا منهم يفنـون أعمـارهم في قضـايا فرعية عمليـة، وفي خلافـات جزئيـة، وينسـون أصل الـدين الأصـيل، وهو التوحيد الخالص الذي ما جاء الشرع إلا لأجله.

وأمثال هؤلاء لا يعنون من الشرك إلا عبادة المسيح والأصنام، وأما تلك الصور الـتي عرضناها عليك آنفاً؛ فإنهم لا ينكرونهـا، بل يباركونها ويوافقـون أصـحابها، وإن حصل لها عند بعضهم إنكار؛ فإنما هو كإنكـار بدعة يسـيرة لا تضر عنـدهم بالـدين، والحـال أنها أصل من أصول التوحيد، وتفويتها قدح في العقيدة والإسلام.

وقد يسـأل سـائل: لمـاذا تهتمـون بالتوحيد هكـذا وتجعلونه الأصل الأول من أصـول الدعوة السلفي؟

والجــواب على هــذا الســؤال يأتيك مفصلا بحمد الله في البــاب الأخــير من هــذه الرسالة: (السلفية دعوة التوحيد).

## ثانياً: الاتباع

بعد أن يعلم السـائر في المنهج السـلفي توحيد الله سـبحانه وتعـالى حسب أركانه السـالفة؛ فإنه يتـوجب عليه إفـراد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم بالاتبـاع، وذلك تحقيقاً لقوله: "أشهد أن محمداً رسول الله".

وهذه الشهادة لا تكون كاملة إلا بالأمور الآتية:

أولا: أن يعلم أن محمداً صـلى الله عليه وسـلم رسـول مبلغ عن ربه جل وعلا، وأنه قد جاء بوحيين: الأول كتاب الله القرآن. الثاني: سنته صلى الله عليه وسلم.

وذلك لقوله صـلى الله عليه وسـلم: [ألا وإني أوتيت القـرآن ومثله معـه] (رواه أبو داود وغيره بسند صحيح).

فكلام رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم مثل كلام الله تعـالى؛ سـواء في الاعتقـاد والعمل والقبول؛ لأن هذا وهذا من الله سبحانه وتعـالى، والرسـول لا يـأمر ولا ينهى

ولا يحـرم ولا يحل في أمـور الـدين بشـيء من عند نفسـه، بل بـأمر الله سـبحانه وتعالى، ولا يخبر بشيء من الغيب إلا بوحي منه جل وعلا؛ كما قال سبحانه وتعـالى: {ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين} (الحاقة: 44-47).

وإذا كان أمر السنة كذلك؛ فإنه يشملها جميع أحكام التكليف؛ من: واجب، ومنـدوب، وحرام، ومكروه، ومباح، ويكون من رد الثابت الصحيح منها؛ كمن رد القرآن.

ثانياً: الدين هو المنهج والطريق والحكم والصـبغة العامـة، وليس هو التقـرب فقـط؛ كالمفهوم الشائع بين الناس اليوم.

ومعنى هذا أن الرسول صلى الله عليه وسـلم هو المشـرع بـأمر الله لجميع شـؤون الحيـاة الـتي له فيها أمر ونهي وحكم، وليس للطاعـات والقربـات فقـط؛ فمعصـية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في شؤون الـبيع والتجـارة والـزواج والطلاق والحكم والسياسة والحدود؛ كمعصيته في شؤون العبادة؛ كالصلاة والصـيام والزكـاة والحج وغيرها.

ثالثـاً: للأمـرين السـابقين تصـبح منزلة الرسـول صـلى الله عليه وسـلم في الطاعة المطلقة لا تدانيها منزلة لأحد من البشر.

ولذلك، فلا يقبل قول أحد؛ سواء كان: إماماً فقيهاً، أو زعيمـاً سياسـياً، أو مفكـراً أو مصلحاً؛ يخالف قولاً للرسول صلى الله عليه وسلم، ومن قدم قولاً لأحد على قـول الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أساء وتعدى وظلم وخـالف إجمـاع الأمة وكتـاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: لا تكمل هذه المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ إلا بكمال الحب له.

كما قال صـلى الله عليه وسـلم: [لا يـؤمن أحـدكم حـتى أكـون أحب إليه من نفسه ووالده والناس أجمعين] (متفق عليه).

ومما يعين على هذا الحب: التزام أمره دائماً، والمسارعة في طاعتـه، وتقـديم قوله على كل قـول، وتـذكر مواقفه ومشـاهده، ومدارسة سـنته وسـيرته صـلوات الله وسلامه عليه.

ومما يؤسف له في أوساط المسلمين اليوم أنه قد ضعفت هذه المتابعـة، وخبا ذلك الحب للرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك للأسباب الآتية:

1- القول بجواز التقليد:

وذلك بعد تدوين الفروع الفقهية لكل مذهب من المذاهب الفقهيـة، والإفتـاء بالعمل بهذه الفروع الفقهية مطلقـاً، سـواء كـانت موافقة أو مخالفة للحـديث الصـحيح، بل والإفتاء بأنها جميعاً صواب، وإن كانت مختلفة متناقضـة. وقد أدى هـذا إلى الركـون إلى كل قول ينسب إلى الفقه، والقعود عن طلب الدليل من القرآن والسنة، وبذلك ضعف العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى وبالأحاديث الصحيحة.

2- الإفتاء بغير علم ودليل:

أ) بعد الإفتاء بأن كل رأي فقهي في مذهب ما صواب؛ أفـتى المفتـون كل مسـتفت بما يناسبه من قول منسوب إلى الفقه، بل بحث بعضهم على ما سـماه بالأيسر من كل مذهب في كل مسألة فأفتى به.

وناهيك بما في هذا من توهين العمل بالشريعة، بل بزوالها، إذ ما من مـذهب إلا وله كثير من الأقوال المتساهلة جداً، التي جـاء القـرآن والحـديث بخلافهـا، وليست هـذه الرسالة مجالاً لبيان ذلك.

بل وتساهل بعض الناس أكثر من هذا، فأفتى بأي قول يصدر عن عالم ما!

وقد علم القاصي والـداني ما أفـتى به كثـير من العلمـاء المحـدثين في شـأن الربا والخمر وملابس النساء وحقوقهن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ولو جمعنا الفتـاوى الباطلة في هـذه وغيرهـا، لخرجنا بـأكثر من مجلد فيه ما يهـدم الإسلام جملة وتفصيلاً.

ب) لم يقف الأمر بالفتـاوى الباطلة وبـأن كل قـول صـواب عند الإفتـاء في أمـور الشريعة، بل تعـدى ذلك إلى العقائد والغيبيـات، فـوقعت أيضـاً تحت الـرأي والظن، وبذلك نفى كثير من العلماء الأحاديث الصحيحة في أمـور كثـيرة من أمـور العقائـد، وقالوا بالرأي والظن والاجتهاد في أمور العقيدة والغيب التي لا اجتهاد فيها، وجـاروا آراء العصر الصادرة عن غير المسلمين.

3- توعير طريق دراسة القرآن والسنة:

وذلك بـالتخويف والتحـذير الـذي لا نفتأ نسـمعه من كل نـاعق: أن دراسة القـرآن والسـنة والتلقي منهما ضـلال (راجع كتـاب "تنزيه السـنة والقـرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران" للقاضي أحمد بن حنبل حجر آل بن علي)!! وأنه يجب أولا عرض الآيات والأحاديث على أقوال الأئمة والفقهاء!! وكـأن الأصل قد أصـبح أقـوال الناس لا قول الله ورسوله.

وبهذا التخويف والتحذير وعَّر هؤلاء طريق الفهم السليم للكتاب والسنة، وصدوا عن سبيل الله بعلم أو بغير علم، وجعلوها معوجة للسالكين فيها.

وقد خالفوا بذلك كتاب الله الذي يأمر باتباع الـدليل مطلقـاً، وبالبصـيرة أبـداً، وينهى عن التقليد والسير على منهاج الآباء والأجـداد دون دليل وبرهـان، وخـالفوا الرسـول صـلى الله عليه وسـلم الآمر بتبليغ حديثه مما نطق به صـلى الله عليه وسـلم، حيث يقول: [نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها]. وقوله: [وبلغوا عـني ولو آية].

4- إيقاف العمل بالشريعة في كثير من نواحي الحياة.

لا يشك مسلم يفهم الإسلام في الوقت الحاضر أن الشـريعة الإسـلامية قد أقصـيت إلا قليلاً عن مجالات حياة المسلمين، وذلك في شؤون كثيرة؛ كـالحكم، والسياسـة، وكثير من المعاملات، والحدود، والتربية، والاجتماع، والآداب العامة.

وكان لهذا أسباب كثيرة؛ كغلبة الكفار على أرض الإسلام وغرس أفكارهم وتقاليدهم وعاداتهم في بلاد الإسلام.

وكان من ذلك أيضاً مما نحن بصدده: جمود حركة الاجتهـاد الفقهي، وذلك بـالوقوف فقط عند ما دونه أئمة الفقه في عصور قديمة استحدثت بعدها كثـير من الأقضـيات والحوادث في شتى شئون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكـان لابد من حركة فقهية تحكم هــذه الأمــور؛ لتعطي المســلم الحركة الصـحيحة بإسـلامه في المجتمع الذي يعيش فيه.

ولكن هذا الجمود في الفقه وانفصال السلطة السياسـية عن المنهج الإسـلامي أدى إلى شل حركة المسلمين، وجعلهم حيارى بين ما يأخـذون وما يـدعون فيما جـدَّ من أمورهم، وكانت الغلبة بالطبع للتيـار القـوي الـذي تقـوم عليه أجهـزة الحكم وتوجهه أجهزة الإعلام المسخرة للسلطة السياسية.

وكان لهذا كله آثاره في انطماس طريق الإسلام وشريعته، وغياب المعـنى الحقيقي لشهادة المسلم: أشهد أن محمداً رسول الله.

والمنهج السلفي لفهم الإسلام والعمل به يضع نصب عينه تذليل هذه العقبـات الـتي حالت بين النـاس ومتابعة الرسـول صـلى الله عليه وسـلم، وذلك بـأن ينـادي دائمـاً بالقول بتحريم التقليد، ويوجب على كل مسلم السؤال عن القول بدليله من الكتاب والسنة.

ولا يعنى هـذا أننا نـوجب على كل أحد أن يكـون مجتهـداً، لا؛ إنما نـأمر كل أحد بـأن يكون متبعاً للدليل، باحثاً عن الحجة من كتاب ربه أو سنة نبيه.

وبـذلك تتوحد صـفوف الأمـة، وينمو فيها معرفة الكتـاب والسـنة، وتزكو فيها الـروح العلمية والمسامحة الأخوية، ولا يستطيع مضل أن يضلها بسهولة؛ لأن ميزان الكتاب والسـنة سـيكون منصـوباً لكل مفت ومتحـدث في الـدين، وبـذلك أيضا يعظم عند المسلمين شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعظم شأن متابعتـه. وكـذلك نلجم الألسنة التي تفتي دائماً بغير دليل عنـدما تعلم أن النـاس لا يقبلـون قـولاً إلا بـدليل وحجة، فإذا قال رأيه للناس؛ قال: هـذا حكم الشـارع؛ طالبه النـاس بدليله من قـول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم.

وبالأمرين السابقين وغيرهما يفتح للناس ميدان جديد لدراسة جادة للقرآن والسـنة، فتجدد حياة الأمة، ويشع نورهـا، وتتضح معـالم الطريق أمامهـا، ولا يسـتطيع أي من النــاس -مهما كــان دوره- أن يضل النــاس -إلا أن يشــاء اللــه- وأن يقــودهم خلفه كالسائمة.

وإذا أحيينا فقه الكتــاب والســنة على هــذا النحــو؛ اســتطعنا أن نوقف تيــار العصر الإلحادي عند حـده، وذلك أننا سـنوقف النـاس أمـام مسـؤولياتهم؛ فنحن نقـدم لهم

قول الله وقول رسوله لا قـول فلان وفلان، فـإن أذعنـوا؛ فقد أسـلموا، وإن جحـدوا وأنكروا؛ فقد كفروا.

وبذلك تتضح السبل، ويحيا من حي عن بينة، ويهلك من حلك عن بينة.

## ثالثاً: التزكية

التزكية إحدى المهمات التي من أجلها بعث الرسول صـلى الله عليه وسـلم، بل هي غاية الرسالات وثمرتها.

قال تعالى ممتناً ببعثة الرسول صلى الله عليه وسـلم: {هو الـذي بعث في الأمـيين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتـاب والحكمة وإن كـانوا من قبل لفي ضلال مبين} (الجمعة:2).

وقـال أيضـاً: { لقد من الله على المؤمـنين إذ بعث فيهم رسـولاً من أنفسـهم يتلـوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مــبين} (آل عمران:164).

فالله امتن علينا في هـاتين الآيـتين ببعثه النـبي صـلى الله عليه وسـلم الـذي من مهماته قراءة آيات الله، وهذه نعمة كبرى؛ إذ نسمع كلام الله على لسان بشر منا.

ثم إنه يزكي هذه الأمة؛ بما يقرأ عليها، وبما يوحى إليه. ثم هو يخـرج هـذه الأمة من ظلمات الجهالة، وذلك بتعليم الكتاب والحكمة.

والكتاب: القرآن.

والحكمة: العلم النافع، الذي يضع من الإنسانية الأمور في نصابها.

ولذلك؛ فالسنة من الحكمة، والكتاب قد جاء بالحكمة أيضاً.

السؤال الآن: ما هي التزكية التي عرفنا آنفاً أنها إحدى وظائف النبي صلى الله عليه وسلم؟

التزكية للنفـوس: تطهيرهـا، وتطبيبهـا، وتنقيتها من قبائحهـا؛ فـالنفس الزكيـة: هي الطيبة الطـاهرة البعيـدة عن كل ما يـدنس النفـوس من غش وحقد وحسد وظلم وسخيمة.

وهذا المعنى مأخوذ من قول العرب: (زكا الزرع: إذ نما وأينع)، والرائحة الزكية: هي الطيبة.

قال تعالى مبيناً افـتراق النفـوس في الزكـاة: {ونفس وما سـواها* فألهمها فجورها وتقواها* قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها} (الشمس:7-10).

فالنفس الزكية: هي الطيبة الطاهرة النقية.

وقد أقسم سبحانه وتعالى أن الفلاح منوط بتزكية النفس وتطهيرها، وذلك في سورة الشمس، بعد أحد عشر قسماً، وليس في القرآن أقسام متوالية بهذه الكثرة على حقيقة واحدة؛ إلا في هذه السورة. قال تعالى: {والشمس وضحاها* والقمر إذا تلاها* والنهار إذا جلاها* والليل إذا يغشاها* والسماء وما بناها* والأرض وما طحاها* ونفس وما سواها* فألهمها فجورها وتقواها* قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها} (الشمس:1-10).

وبين في آيات أخر أنه لا يدخل الجنة إلا من اتصف بهذه الزكاة والطيبة والطهر؛ كما قال تعالى: {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلم عليكم طبتم فادخلوها خالدين} (الزمر:73).

والطيبة هنا هي سبب دخولهم الجنة، وهي ثمرة العبادة وغايتها، وهي تزكية النفس التي جاء الرسول من أجلها صلوات الله وسلامه عليه.

وبهذا البيان نصل إلى حقيقتين:

أولهما: أن التزكية إحدى مهمات النبي صلى الله عليه وسلم وغاية من غايات رسالته، بل سنعلم أنها غاية الرسالة والوجود الإنساني كله.

والثانية: أنها السبب في دخول الجنة، بل هي الصفة الواجبة التي من لم يتصف بها؛ لم يكن من أهل الجنة.

والآن يأتي سؤال آخر، وهو: ما الوسائل التي شرعها الله سبحانه وتعالى وبينها رسوله للوصول إلى هذه الغاية؟ وبمعنى آخر: كيف تزكو النفس وتصبح طيبة؟ وما الذي صنعه الرسول حتى يقوم بهذا الواجب؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نستعرض شرائع الإسلام كلها ونستقرئها جميعاً - سواء كانت عقائد أو عبادات أو معاملات- وننظر ارتباط هذا بالتزكية والتطهير. وسنتبين بهذا الاستقراء أنه ليس للتزكية أعمال خاصة من مجموع أعمال الدين وعقائده، بل جميع شرائع الإسلام وعقائده وآدابه إنما هي أعمال غايتها ونهايتها التزكية والتطهير.

ما دمنا عرفنا أن الزكاة هي الطيبة والطهر والبعد عن الدنس:

فالتوحيد تزكية؛ لأنه اعتراف وإقرار بالإله الواحد الذي لا رب غيره، وهذا الاعتراف والشهادة تزكية؛ لأن الاعتراف بالحق فضيلة، وجحده وإنكاره رذيلة، وأي رذيلة؟! وليس هناك حق أكبر من الله ولا أجلى وأظهر منه عند كل ذي لب وعقل، وإنكار الله وجحده والشرك به أكبر الرذائل والتدسية، ولذلك قال تعالى:

{إنما المشركون نجس} (التوبة:28).

وذلك لنجاسة قلوبهم ونفوسهم بما تلبسوا به من شرك وجحود ونكران لصفات الله سبحانه وتعالى، وليست نجاستهم لما على أبدانهم من نجاستهم؛ فقد يتطهر كثير منهم ظاهراً، ولكن؛ ما دام أحدهم متلبساً بالشرك والكفر؛ فهو متلبس بالنجاسة المعنوية المدنسة للنفس والشعور.

والعبادات كلها –مالية أو بدنية– ما هي إلا عمليات تزكية؛ لأنها تربط القلب الخالق سبحانه وتعالى، وتذكره به، وبذلك تحصل التقوى للقلب، ومن اتقى وخاف ربه؛ ابتعد عن المحرمات، والمحرمات قاذورات، وفعل الخير طيبة وإحسان وبر وعدل. ولذلك كانت الصلاة على رأس هذه الأعمال؛ لأنها من أنجع الوسائل للوصول إلى هذه التزكية، فتكررها في اليوم والليلة، وذكر الله فيها، وحركاتها تصل القلب حقيقة بالله.

قال تعالى: {إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر} (العنكبوت:45).

وذلك لأنها تربي الواعظ وتورث التقوى.

ولذلك أفتى إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله بأن الصلاة في الأرض المغصوبة باطلة، وذلك من عظيم فقهه؛ فقد رأى أن قيام المصلي وقعوده وذكره لربه في أرض اغتصبها يدل على كذبه وزوره وبهتانه ونجاسة قلبه؛ لأن هذا لو كان ذاكراً لله حقيقة؛ لما أمسك هذه الأرض التي اغتصبها، بل لأنخلع عنها وردها إلى أصحابها.

ولذلك أيضاً لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها؟ قال: [هي من أهل النار] (والحديث رواه أبو هريرة؛ قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لا خير فيها، هي من أهل النار]. قال: فلانة تصلي المكتوبة، وتصدق بأتوار الأقط، ولا تؤذي أحداً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [هي من أهل الجنة] "الأحاديث الصحيحة (رقم 190)" وقال الشيخ ناصر الدين: "إسناده صحيح. رواه: البخاري في "الأدب المفرد"، وابن حبان، والحاكم، وأحمد").

والحكمة في هذا ظاهرة؛ إذ لو كانت هذه المرأة مصلية صائمة حقاً؛ لامتنعت عما يدنس النفس أقبح تدنيس، وهو إيذاء الجار.

ولذلك أيضاً قال صلى الله عليه وسلم: [من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه] (رواه البخاري).

وذلك أن الصائم الذي راقب الله -بزعمه- في تركه للطعام والشراب، ولم يستطع أن يراقبه في قول الزور والعمل بالزور: مبطلٌ في ادعاء خوف الله وتقواه، مبطلٌ لثمرة العبادة وغايتها وثمرة الصوم وغايته.

ولذلك لا يجوز لنا أن نفصل بين عبادات الإسلام وغايتها وثمرتها، فنظن أن أعمال القربات مقصودة لذواتها، وبذلك نفرغ العبادة من ثمرتها وغايتها.

بل قرن الله سبحانه وتعالى دائماً بين العمل والثمرة؛ كما قال عز وجل في الصوم: {كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة: 183).

وقال تعـالى عن غاية العبـادة: {يأيها النـاس اعبـدوا ربكم الـذي خلقكم والـذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة:21).

ففهم من هذا أن غاية العبـادة كلها التقـوى، وقد عـبر الله هنا بــ {لعـل} الـتي تفيد الـترجي، والله لا يرجو شـيئاً؛ لأنه ما شـاء كـان سـبحانه وتعـالى، ولكن الرجـاء هنا بالنظر للعابد؛ لأنه ليس كل مؤد لهذه العبادة متقياً، بل المنافقون يـؤدون الطاعـات والعبادات ظاهراً وهم كافرون جاحدون.

ونفهم من هذا أيضاً أن من لم تحصل له هذه التقـوى مع أدائه للعبـادة؛ كـان غاشـاً في عبادته، مبطلاً فيها.

فمن شأن العابد أن يكون تقياً خائفاً من ربه محسناً، وهذه التزكية والطيبة والطهر، والعبادة قد وضعت لذلك، ولا يكون المرء طيباً طاهراً بغـير العبـادة؛ أن الطاعة من التزكيـة، فطاعة الله الـذي له الفضل علينا والمنة والنعمة هي أول صـور المعـروف والإحسـان والاعـتراف، ولـذلك لا يتصـور زكـاة وطهر بغـير طاعة أمر الله واجتنـاب نواهيه.

وقد تكرر معنى "العبادة للتقوى" في آيات كثيرة من القرآن:

كما قال تعالى: {ولكم في القصاص حيـاةٌ يـاأولي الألبـاب لعلكم تتقـون} (البقـرة: 179).

وكقوله تعالى: {وأن هذا صراطي مسـتقيماً فـاتبعوه ولا تتبعـوا السـبل فتفـرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} (الأنعام:153).

وبهذا نصل إلى هذا المعنى الثالث من معاني التزكية، وهي أن شرائع الإسلام كلهـا؛ من: توحيد، وعبادة، وصلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وبر الوالدين، وصـلة أرحـام، ونهي عن الفواحش والمنكرات، ومعاملات تحقق العدل والإحسان؛ ما كل ذلك إلا لتحقيق هذه التزكية.

وهذه الأوامر والنواهي: إما أن تكـون هي بـذاتها من أركـان هـذه التزكية ولوازمهـا، وإما أن تكون مما يورث هذه التزكية ويؤدى إليها.

ومما يدلُّك على هذا المعنى جليا، بحيث لا يترك لنفسك فيه شـبهة: أن تعلم أن الله وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: {وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم:4).

ولقد كان هذا الخلق متمثلاً في العمل بكتاب الله، الـذي تضـمن كل أنـواع التزكيـة؛ كما جاء في "صحيح البخاري": أن سـعد بن هشـام سـأل السـيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: [كان خلقه القرآن].

ولـذلك قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: [إنما بعثت لأتمم صـالح الأخلاق] (الأحاديث الصحيحة (رقم 45)، وقال الشيخ ناصر الدين: "رواه البخاري في :الأدب المفرد"، وابن سعد في "الطبقات"، والحاكم، وأحمد، وابن عساكر").

وحصر الرسول رسالته في هذا يعطيك الدليل الكامل على أن رسـالة الإسـلام كلها رسالة للتزكية والتطهير.

إذا علمنا أن الإسـلام دين تزكية وتطهـير، وأن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم لم يبعث إلا لهـذا؛ فيجب علينا أن نعلم أيضـاً أنه صـلى الله عليه وسـلم قد أتم هـذه التزكية منهجاً وعملاً.

لأن الله أتم دينه ونعمته على رسوله والمؤمنين؛ كما قال تعالى:

{اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمـتي ورضـيت لكم الإسـلام دينـاً} (المائدة:3)

ومعنى هذا أنه لا يجوز الإحداث فيها؛ كما هو الشأن في جميع شؤون التقرب.

وذلك أن الإحداث في العبادة يـؤدي إلى الفسـاد والانحلال؛ فضـلاً عن أنه مرفـوض غير مقبول عند الله سبحانه وتعالى.

وقد رأينا كيف انفتح هـذا البـاب على المسـلمين، فـدخل منه شر مسـتطير وبلاء عظيم؛ فمناهج إصلاح النفس والتربية التي انـدرجت تحت اسم التصـوف قد جمعت في طياتها بلاء لا حصر له ولا حـد، وامتد الفسـاد من حقل التربية والأخلاق والتعبد إلى وضع الحديث وإفساد العقيدة وتحطيم الشرع الذي سموه بالظاهر، وفتح الباب للخرافات والخزعبلات والترهات، ثم وقوع الشرك وعبادة غيره سبحانه وتعـالى، ثم الفلسفات الهالكة؛ كـالقول بوحـدة الوجـود والحلـول وغـير ذلك من عقائد الفـرس والهنادك، ثم إسقاط التكليف جملة، والقول في القضاء والقـدر بمـراد الله مطلقـاً، حيث جعل المطيع والعاصي سواء، بل فضَّل العاصي على الطائع..

وقد فصـلنا هـذا الفكر بحمد الله في كتابنا "الفكر الصـوفي في ضـوء الكتـاب والسنة".

وفي مقابل هذا الفكر الصوفي قـام الجمـود الفقهي الـذي جعل النصـوص حرفيـات مرادة لذاتها، وظواهر لا معنى وراءها، وخاصة بعد أن صُبَّت أحكـام الكتـاب والسـنة في قوالب من صنع البشر، أشبه بقوالب التقنين.

وبعد أن بعد الناس عن المصدر الأصيل -كتاب الله وسنة رسـوله-؛ تعـاملوا مع هـذه القـوالب الكلامية البشـرية، ولم يشـعروا تجاهها بتلك الرهبة والتقـديس؛ كما يكـون التعامل مع كلام الله وكلام رسـوله صـلى الله عليه وسـلم، ولـذلك سـهل عليهم التحايل على هذه القوالب، فأحلت معاملات كثيرة: ظاهرها العقد الشرعي، وباطنها الحرام، ومن ذلك: بيوع العينة، ونكاح المحلل، والربا في صور البيع، والزنى بصـورة الهبة دون ولي وإشهاد.

ثم توسع الناس في اتباع الأقوال والآراء، فأصبح كل قول في الدين حجة ما دام أنه لشيخ ما أو لعالم ما، وبـذلك ضـعف الـوازع، وانهـدم ركن الأخلاق، وفسـدت منـاهج التزكية التي ما جاء الإسلام إلا لأجلها.

والمنهج السلفي يقوم بين المنهجين السابقين:

منهج التصـــوف ومنهج الظـــاهر الفقهي، فيحل التزكية محلها من دين الله ســـبحانه وتعالى، فيجعلها غاية للمسلم؛ يسعى إليها ويتخذ لها الوسائل المشروعة الـتي جـاء بها الكتاب والسنة؛ فلا تزكية بغيرهما، ولا تزكية دونهما أبداً.

وبذلك يبطل في هذا المنهج جميع الاجتهادات العبادية والسلوكية الـتي ابتـدعت في المنهج الصـوفي؛ من الانفـراد في الخـرائب والقبـور، والعيش على طعـام بعينـه، والعزلة مدة محددة، وترك النظافة والتطهر، وترك الكلام، والجلوس في الشـمس، وتعذيب النفس بشيء لم يأت به الشارع، وقراءة الأذكار المبتدعة، والرقص والغناء والسماع الشيطاني الذي أصبح من لوازم الطرق الصوفي.

وكـذلك يبطل المنهج السـلفي هـذا السـعي الضـال وراء ما يسـمى بالفتوحـات والكشوف، التي ما هي إلا وساوس شيطانية وأفكار فلسفية إلحاديـة، كشـفنا زيفها في كتابنا الآنف؛ فارجع إليه؛ لتقف على هذه الحقائق العجيبة.

ويبطل في المنهج السـلفي هـذه الظاهرية الجامـدة الـتي تتعامل مع نص وتنسى أهدافه وغاياته، وهذا الفقه الأعوج الذي جعل كل قول في الدين حجة، وكل فتـوى -لا دليل عليها- حكماً شرعياً، وبـذلك اسـتحلت الحرمـات، وفسـدت منـاهج الإصـلاح، وأظلمت النفوس، وخبا فيها نور الوحي السـماوي: كتـاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسلم.

والمنهج السلفي للإصلاح والتربية والسـلوك والتزكية لا يجعل مثلاً أعلى في هـذا إلا رســول الله صـلى الله عليه وســلم، إذ هو أطهر البشر نفســاً، وأعلاهم مقامــاً، وأقومهم خلقاً وأرشدهم طريقة ومنهجاً؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن أعلمكم بالله وأتقاكم لله: أنا].

ولذلك يجعل هذا المنهج السـلفي سـنة الرسـول صـلى الله عليه وسـلم وخلقه هي الأساس بعد كلام الله في التزكية والتطهير والاتباع.

وكذلك يجعل سيرة الصحابة الأول ورجال الصدر الأول الذين تمثلوا القـرآن والسـنة قولاً وعملاً وخلقاً قدوة في التزكيـة؛ فهم المُثُل الحية لزكـاة النفس وطهارتهـا، ولا يقـاس بهم من بعـدهم أبـداً؛ فهم خـير القـرون وأنفعها للمسـلمين، ويـأتي بعـدهم التابعون بإحسان، والعلماء العاملون في كل عصر؛ وفق ذلك المنهج السـلفي الـذي شرحنا أصوله آنفاً.

فالعلماء الذين اتبعوا منهج الكتاب والسنة؛ توحيـداً، واتباعـاً، وتزكيـةً، ولم يقعـوا في الشرك الظاهر، أو التأويل الباطل، أو ظلال السلوك، وترهات التصوف: هم القــدوة بعد الصحابة والتابعين.

وبهذا يتحدد المنهج السلفي في التزكية.

إنه امتثال حقيقي لا ظاهري صوري لكلام الله وكلام رسوله.

ونعني بالامتثال الحقيقي: الذي يكون باطناً وظاهراً، حقيقة لا تصنعاً، إيماناً لا نفاقـاً، وزكاةً وطهراً لا خبثاً ولؤمـاً، وطيبة يسـتحق المـرء معها أن تسـلم عليه ملائكة الله على باب الجنة: {طبتم فادخلوها خالدين} (الزمر:73).

فنسأل الله أن يجعلنا من أولئك الأبرار الصالحين.

## الباب الثالث

## أهداف الدعوة السلفية

ليست الدعوة السلفية -كما أسلفنا القول- دعوة إلى شـعبة من شـعب الإيمـان، ولا لقضية واحدة من قضايا الإسـلام، وليست هي دعـوة إصـلاحية اجتماعيـة، ولا دعـوة سياسـية حزبيـة، وإنما هي دعـوة الإسـلام.. الإسـلام بكل ما تعـني هـذه الكلمة من معاني العزة والسيادة والإصلاح والعدل والفلاح في الدنيا والآخرة.

والإسلام دين الله للعالمين؛ فليس هو دين وطن بعينه، ولا شـعب بالـذات، وإنما هو دين الأرض كلها والناس جميعاً.

ولذلك؛ فالدعوة السلفية كذلك ليست دعوة وطن بعينه، ولا شـعب بعينـه، وإنما هي المنهج المنضبط لفهم الإسلام والعمل به؛ كما أسلفنا هذا في تعريف هذه الدعوة.

وينبني على القضية السابقة: أن أهداف الدعوة السلفية هي أهداف دعوة الإسـلام، وذلك أنها ليست حزبـاً دينيـاً بمفهـوم العصـر، ولا حزبـاً سياسـياً.. إنها منهج ودعـوة وطريق لفهم الإسلام والعمل به.

وها هي أهداف هذه الدعوة التي هي نفسها أهداف الدعوة الإسلامية:

### أولا: إيجاد المسلم الحقيقي:

جـاءت شـريعة الإسـلام أول ما جـاءت لصـناعة المسـلم، إن صح هـذا التعبـير، وهو صحيح؛ لقوله تعالى لموسى: {ولتصنع على عيني} (طه:39).

فصناعة الرجال هي مهمة الدعوة الإسلامية.. الرجال بمفهوم الرجولة الكامل..

والإنسان بمفهوم الإنسان الكامل.. والمرأة المسلمة بالمفهوم الصحيح أيضا..

والمسـلم الحق والمسـلمة الحق يشـترط فيهما هـذه الشـروط، وهي: التوحيـد، والامتثال، والتزكية.

المسلم الحق هو الـذي يشـهد لله بالوحدانيـة، ويمتثل أوامـره، ويبتعد عن نواهيه ما استطاع، ويزكي نفسه بهذا الدين ما استطاع.

ومناهج هذه التربية هي مناهج الدعوة السلفية التي أسلفنا فيها القول تحت عنـوان: (الأصول العلمية للدعوة السلفية).

وإذا قلنا: المسلم الحق؛ فإنما نعني التفريق بين هذا الغثاء المنسـوب للإسـلام زوراً وبهتاناً وبين المسلم بمفهومه الصحيح الآنف.

فالذين ينسبون إلى الإسلام، وهم يمارسون الشـرك قـولاً واعتقـاداً، ويبـدلون آيـات الله ويحرفونها، ويتحاكمون إلى غير شرعه، ويعادون سنة نبيه، ويستهزئون بهـا؛ كل أولئك لا يجوز الحكم لأحد منهم بالإسلام.

وقد فصلنا هذا بحمد الله تفصيلاً سهلاً موجزاً في كتابنا "الحد الفاصل بين الإيمان والكفر".

والمهمة الأولى للـدعوة السـلفية هي مهمة التعليم والتربية والصـناعة بعد التعريف والبيان بالمفهوم الحقيقي للإسلام.

وهذه مهمة عظيمة؛ لقوله صلى الله عليه وسـلم: [فوالله؛ لأن يهـدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم] (رواه البخاري).

فهداية فرد واحد للإسـلام نعمة عظيمة وعمل جليـل، أيا كـان هـذا الفـرد: سـيداً أو عبداً، فقيراً أو غنياً، عاجزاً أو قوياً، وحسـبنا أن الله سـبحانه وتعـالى عـاتب رسـوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه انصرف عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى إلى سـيد من سادات قريش؛ يدعوه، ويلح عليه؛ منصرفاً عن هذا الذي جاء يطلب الهداية.

قال تعالى: {عبس وتولى* أن جاءه الأعمى* وما يدريك لعله يزكى* أو يذكر فتنفعه الذكرى}

(عبس:1-4).

يعني الله عز وجل هذا الأعمى.

ثم قال: {أما من استغنى* فأنت له تصدى} (عبس:5-6).

أي: هذا القرشي الذي رأى نفسه مستغنياً عن دعوة الله، فتتصدى أنت له؟!

قال: {ما عليك ألا يزكى} (عبس:7).

أي: ما يضيرك لو لم يتزك هذا المستكبر المستغني.

ثم قال: {وأما من جاءك يسعى* وهو يخشى* فأنت عنه تلهى} (عبس:8-10).

أي: لا تفعل! لا تتلهى عن هذا الذي جاءك يخاف الله ويطلب مرضاته!

ويعنينا الآن أن نفهم أن هـذه المهمة الأولى والهـدف الأول للـدعوة الإسـلامية هو مقصـود الـرب جل وعلا، وهو بـذل الهدايـة؛ ليهتـدي من يـوفقهم اللـه، ويشـرح صدورهم، أياً كان هؤلاء.

ثانيـاً: المجتمع المسـلم الـذي تكـون كلمة الله فيه هي العليا وكلمة الـذين كفـروا السفلى:

الهدف الثاني للدعوة السلفية هو إيجاد المجتمع المسلم الذي يقوم بتآلف تلك اللبنات التي ربيت على أساس الإسلام عقيدة ومنهجاً.

وذلك أن لله أحكاماً في المعاملات، والحدود، والسياسات العامة، والحكم؛ لا يمكن تطبيقها؛ إلا بأن يدين المجتمع بدين الله، ويذعن لشريعته.

وكذلك لا يجد المسلم بالمفهوم الحقيقي لمعنى الإسلام متنفسه وراحته وأمنه وطمأنينته إلا في ظل مجتمع مسلم؛ يحكم بشرع الله، ويعظم حرماته، ويحي شعائره.

ومنذ أن غلب الكفار على أرض الإسلام فمزقوها وأحلوا كفرهم وأنظمتهم وشرائعهم محل شريعة الله ونظامه، والمسلمون في جميع أمصارهم يعانون من هذا البلاء، ويحنون في شوق ولوعة إلى العيش في ظل نظام إسلامي صحيح، تشيع فيه المحبة بين الحاكم والمحكوم، وتختفي فيه المظالم، ويأمن الناس على أموالهم وأعراضهم، وتسود فيه المحبة والإيثار والإخلاص، ويرجع به للمسلمين عزهم ومجدهم الغابر، ويرتفع به الظلم والحيف والفتنة الواقعة على المسلمين في أغلب البلاد.

ولكن مناهج الدعوات للوصول إلى هذه الغاية قد تشعبت وتشتت، وكل منهج في الإصلاح والتربية يحتكر الوصول إلى الهدف وحده؛ غير مقدر للعقبات الهائلة التي وضعت في هذا السبيل.

ومن هذه العقبات على طريق المثال لا الحصر: تلك الردة الجماعية الهائلة في الشعوب الإسلامية، وذلك بعد الصياغة الرهيبة التي صيغت بها عقول أبناء المسلمين، وذلك بالثقافة والقيم المنافية للإسلام، وقد ساعد على هذه الصياغة وسائل الإعلام الضخمة التي تملكها أيدي غير إسلامية، ومناهج التعليم التي وضعت بأمر المستعمر وتخطيطه.

أقول: لم يقدر أصحاب مناهج الإصلاح والدعوات الإسلامية ضخامة العبء الواقع في طريق إقامة مجتمع إسلامي، وتصوروا قيامه بين عشية وضحاها، وبجهود مئة فرد أو مئتين، أو ألف أو ألفين، ولم يدروا أن الأمر أصبح أعظم من هذا؛ إذ يحتاج إلى جهاد وصبر طويل وسنين طويلة؛ في التربية، والتعليم، ونشر الإسلام الصحيح، والتعاون الكامل بين جميع العاملين في حقل الدعوة إلى الله؛ طبقاً للأصول العلمية السلفية السابقة.

ومما يحيرك في أمر تلك المناهج المشار إليها آنفاً أنهم عندما يتخيلون مجتمعاً إسلامياً وحكماً إسلامياً؛ فإنهم لا يجعلون الحكم العثماني مثلاً نموذجاً له، ولا يتواضعون فيرضون أن يكون على مثال الحكم العباسي، ولا يعجبهم أيضاً أن يكون على طراز أموي.. يريدون أن تكون خلافة راشدة.. وأيضا كحكم الشيخين أبي بكر عمر !!

وهذا التصور حسن في ذاته، ولكن هؤلاء المتشدقين بالحكم الإسلامي، الزاعمين الدعوة إليه؛ لا تجد في أخلاقهم وأعمالهم وسلوكهم وعلمهم ما يؤهلهم أن يكونوا

أفراداً من هذا المجتمع؛ فضلاً عن أن يكونوا مسـؤولين عن إقامتـه؛ فـالأثرة، وحب النفس، والشح، والخوف، والاستبداد، والتعصب للرأي المخالف، والمجادلة بالباطل؛ كل هـذه أمـراض بلوناها في كثـير من هـؤلاء المتشـدقين، وهي أمـراض يسـيرة إذا قيست بما هو أعظم منها مما لا يحسن ذكرها في هذه الخلاصة.

والمهم أن أولئك الحالمين بـالحكم الإسـلامي المتشـدقين به بعيـدون بعد المشـرق والمغرب عن أهدافهم الـتي يـدعونها، فضـلاً عن تعجلهم وجهلهم الفاضح بمجريـات الأمور من حولهم، ولذلك تتبدد طاقتهم، وتذهب جهود العاملين معهم أدراج الرياح.

ومما يجعل تلك المناهج بعيدة كل البعد عن أهدافها: عدم وضع أصول محـددة لفهم الإسلام والعمل به.

وبذلك يصطدم أفراد الدعوة بالاجتهاد الفردي الـذي لا يحتكم إلى أصـول واحـدة، أو بـالواقع المرير الـذي تحيـاه أمة الإسـلام، فيقع التمـزق والضـياع، أو اليـأس ثم الانحراف.

وقد ظهرت جماعات كثيرة، كثر أفرادها، ولكن سرعان ما تشتت وتمـزقت وحـدتها؛ لأن أصول فهم العقيدة والشريعة والعمل بالإسلام لم تكن واضحة محددة.

والمنهج السـلفي يـراعي هـذا كلـه؛ فيؤسس بنيانه على أصـول ثابتة لفهم الكتـاب والسنة وتوحيد الكلمة والوصول إلى الحق، ويربي أفراده تربية سليمة وفق الأصول العلمية السـابقة: التوحيـد، الاتبـاع، التزكيـة، ويـراعي حاضر العـالم الإسـلامي في الوقت الحاضر، والعقبات العظيمة التي وضعت في سبيل استئناف المسلمين لحياة إسـلامية كاملة في ظل حكم إسـلامي كامـل، فيصـلح ما اسـتطاع، ويوحد جهـود العاملين للإسلام ما أمكن، والملك كله بيد الله وحده.

{قل اللهم مالك الملك تـؤتى الملك من تشـاء وتـنزع الملك ممن تشـاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير} (آل عمران:26).

## ثالثا: إقامة الحجة لله:

كان من أهداف بعثة الرسل أن ينذروا الكافرين والمعاندين حـتى لا يكـون لهم عـذر عند الله يوم القيامة؛ كما قال تعـالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نـوح والنبـيين من بعده وأوحينا إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقـوب والأسـباط وعيسى وأيـوب ويـونس وهـرون وسـليمن وءاتينا داود زبـوراً* ورسـلاً قد قصصـنهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصـهم عليك وكلم الله موسى تكليمـاً* رسـلاً مبشـرين ومنـذرين لئلا يكـون للنـاس على الله حجة بعد الرسل وكـان الله عزيـزاً حكيمـاً} (النسـاء:163-165).

وأتباع الرسل يقومون بهذه المهمة بعد لحوق الرسل بربهم، وهي أن يبشروا الناس وينذروهم حتى لا يكون للمعاندين منهم حجة أمام الله يوم القيامة؛ كما قال سبحانه وتعالى: {قل هذه سبيلي أدعـوا إلى الله على بصـيرة أنا ومن اتبعـني وسـبحن الله وما أنا من المشركين}. (يوسف:108).

فأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم خلفـاؤه في مهماته -إلا النبـوة والرسـالة-؛ فجهاد الكافرين، وتنفيذ أحكام الله، والدعوة إليـه، والتبشـير، والإنـذار؛ كل هـذه من مهمــات الرسل وأعمــالهم، وهي واجبة أيضــاً في حق أتبــاعهم والســائرين على منهاجهم.

والمدعو إما أن يستجيب للدعوة، فيهتـدي، فيتحقق بـذلك الهـدف الأول من أهـداف الدعوة، وهو بذلك الهدف الثالث للدعوة، وهو ما نحن بصـدده الآن؛ أي: تقـوم عليه الحجة، وينقطع عذره عند الله تبارك وتعالى.

وفي هذا من الأمر ما فيـه؛ لقوله تعـالى: {ليس عليك هـداهم ولكن الله يهـدى من يشاء} (البقرة:272).

وقوله تعالى: {إن عليك إلا البلاغ} (الشورى:48).

وقوله تعالى: {إنما أنت منذر} (الرعد:7).

فعلم من هـذا أن الأمر موكـول بالـدعوى ليس إلا، وأما الهدايـة؛ فإنها من فعل الله سبحانه وتعالى، والله يجريها على من شاء من عباده؛ توفيقـاً وإحسـاناً، نسـأل الله أن يجعلنا ممن يجري الخير على يديه؛ إنه هو السميع العليم.

وخلاصة هذا الهدف من أهـداف الـدعوة هو أن الـداعي إلى الله إن لم يتحقق هدفه الأول ويهتدي من يدعوه إلى الله تبارك وتعالى؛ فلا يظنن أن عمله قد ذهب ســدى، بل قد أدى واجبه الحقيقي، وهو إقامة الحجة لله، وقطع عـذر هـذا المعاند أمـام ربه يوم القيامة.

وإقامة الحجة تكون في أصل الإسلام -وهو الشهادتين- كما تكون في أركانه.

فمن أقر بالشهادتين، وادعى أنه ناج يـوم القيامـة؛ دون الصـلاة؛ أقيمت عليه الحجة في ذلك بالآيات والأحاديث.

وكذلك الشأن في أركان الإسلام م، بل وفي الواجبات والمحرمات عامة.

فإقامة الحجة على مسلم معاند -وليس من شأن المسـلم أن يعاند في تـرك واجب أو فعل حرام- واجبه أيضاً؛ لأنها من الدعوة إلى دين الله تبارك وتعالى.

وبهذا ينفرد المنهج السلفي ببيانه لأصول الإسلام وفروعه وآدابه ومستحباته.

وبذلك يظل العمل بالإسلام كاملاً على مـدار الـزمن؛ لأن إهمـال السـنن يـؤدي إلى إهمال الواجبات، وإهمال الواجبات يؤدي إلى نقض التوحيد.. وهكذا.

والمحافظة على شـريعة الإسـلام كاملة في العلم والتطـبيق هو أحد غايـات المنهج السلفي لفهم الإسلام والعمل به.

ولذلك؛ فنحن في المنهج السلفي لا نبرم بإيضاح سنة مهملـة، ولا ببيـان واجب؛ لأننا نرى أن كل هذه الفرعيـات تلتقي مع الأصل الأصـيل، وهو إبـراز الإسـلام دائمـاً في

صورته الكاملة النقية على مدار العصـور، وذلك لتبقى شخصـية المسـلمين واضـحة جلية مميزة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأصـحاب المنـاهج الأخـرى يهتمـون بقضـايا بعينها من الـدين، ويهملـون سـائره، بل ويضيقون ببيانه لهم وحثهم عليـه، وما هـذا إلا لجهلهم بحقيقة الـدين، وذلك أن تـرك نصيب وحظ وقسم مما أمر الله به يورث العداوة والبغضاء؛ كما قال تعـالى: {ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثـقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العـداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} (المائدة:14).

وهكذا عاب الله على اليهود إيمانهم ببعض آيات الكتاب وكفـرهم بـالبعض، وما كـان كفرهم إلا تركهم العمل به.

وهكــذا يحل بالمســلمين إن هم نســوا بعض ما وعظهم الله به وذكــرهم وبعض ما أوجبه عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك؛ فالدعوة السلفية دعوة شمولية لأركان الإسلام ومناهجه جميعاً: {يأيها الذين ءامنوا ادخلـوا في السـلم كافـةً ولا تتبعـوا خطـوات الشـيطان إنه لكم عـدو مـبين} (البقرة:208).

فالعمل بجزء من الشريعة وترك جزء آخر من اتباع خطـوات الشـيطان، الـذي يـبرر لبعض العـاملين في الحقل الإسـلامي تـرك الواجبـات وفعل كثـير من المحرمـات بدواعي المصلحة المزعومة للدعوة...

والخلاصة: أن إقامة الحجة تكون بالبيان الدائم لأصول الإسلام وفروعه... هذا البيان الذي لا يـترك في الحق لبسـاً حـتى ينقطع العـذر، ولا يكـون لأحد العـدول عن فعل الواجب وترك الحرام.

## رابعاً: الإعذار إلى الله بأداء الأمانة:

الـدعوة إلى الله تبـارك وتعـالى واجب حتم في الإسـلام وأمانة في عنق كل مسـلم حمل علماً وأمكنه الله من نشره وإبلاغه، وذلك لأدلة كثـيرة جـداً؛ منها قوله تعـالى: {كنتم خـير أمة أخـرجت للنـاس تـأمرون بـالمعروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنـون بالله} (آل عمران:110).

ومعنى الآية أن المسلمين لم يكونوا خير أمة إلا بذلك.

وقوله تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويـأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر} (104).

ومعنى {منكم} هنا: البدء لا التبعيض؛ أي: لتكونوا أمة داعية إلى الخـير؛ كما أقـول: ليكن منك رجل صالح؛ أي: لتكن أنت رجلاً صالحاً.

وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [من رأى منكم منكراً؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع؛ فبلسانه..] الحديث (رواه مسلم).

إلى أدلة كثيرة لا تحصى كثرة.

والمسلم عندما يدعو إلى الله؛ فإنما يقوم بأداء هذه الأمانة، ويخلي مسئوليته أمام الله تبارك وتعالى؛ كما قال تعالى عن الذين وعظوا إخوانهم من بني إسرائيل، حيث اعتدوا على حرمة السبت، فصادوا السمك محتالين على شرع الله: {قالوا معذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون} (الأعراف:164).

فإن الناهين عن المنكر قال لهم بعض الناس: {لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً} (الأعراف:164).

أي أنهم لن يرجعوا عن غيهم وضلالهم، فقالوا المقالة السابقة: {قالوا معذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون} (الأعراف:164).

أي: نقوم بالدعوة إعذاراً إلى الله، حتى نعذر عند الله بأننا قمنا بأداء الأمانة، ثم لعل هؤلاء الذين آيستم منهم يرجعون إلى الله سبحانه، والعلم عنده وحده.

وبهذا؛ فالداعي على المنهج السلفي لا بد وأن يجعل نصب عينيه أنه سيتحقق له هدفان ولا بد:

الأول: أن يعذر إلى الله بأداء الأمانة.

الثاني: أن يقيم الحجة لله على المعاندين من خلقه.

وأما الهدفان الباقيان؛ فالأمر فيهما بيد الله سبحانه وتعالى وحده، إن شاء أن يعجل بهما؛ فعل، وإن شاء أن يؤجل ذلك؛ فعل، وهما: هداية الناس، وإقامة شرعه في الأرض.

فالأولى يقول الله فيها: {إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء} (القصص:56).

والثانية يقول الله فيها: {وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً} (النور:55).

فالاستخلاف فعل الله: {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (يوسف:21).

والعجلة في تحقيقه من الذين يجهلون سنن الله في الناس.

ولهذا؛ فإن السائر في طريق الدعوة السلفية لا ييأس أبداً، ولا يذهب عمله سدى؛ لأنه لا بد أن يحقق نصف مراده على الأقل، ويبقى دائماً مترقباً فضل الله بهداية الناس إلى طريقه وتمكين أهل الإيمان في الأرض، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم، وهذا هو النصف الآخر، وهو من فعل الله لا من فعل العبد، وما

النصر إلا من عند الله؛ كما قال تعالى: {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم} (محمد:7)، فلننصر الله عز وجل بأن نكون أولاً مؤمنين حقاً، وذلك باتباع المناهج السابقة في الإيمان والعمل، ثم ندعو إلى الله على بصيرة؛ باذلين النفس والمال في سبيل الله، ولنعلم أن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه، إن الله لغني عن العالمين.

ونحن ندعو الناس في مشارق الأرض ومغاربها إلى الإيمان بهذه الدعوة بعد تمحيصها والتثبت من قضاياها والتعرف على منهجها، وسيعلمون كما علمنا أنها المنهج الوحيد لفهم الإسلام والعمل به، سيذوقون حلاوة الإيمان ولذته؛ لأن إيمانهم سيكون إيمان يقين وعلم، لا تقليداً وحمية وجهلاً، وسيكون اندفاعهم للعمل اندفاع الواثق العالم المطمئن، لا اندفاع العاطفة وفورة الحماس الموقوتة، التي سرعان ما تتبدد وتضمحل.

# الباب الرابع

## مميزات الدعوة السلفية

### * أولاً: تحقيق التوحيد:

من الحقائق الأساسية لفهم الدين أن ندرك أن غاية الدين وهدفه النهائي هو توحيد الله سبحانه وتعالى؛ فالتوحيد هو خلاصة الدين، وغايته.

•0 إذا جئت إلى مسائل الإيمان؛ وجدت أن أصلها (لا إله إلا الله)، ووجدت أن الإيمان بالملائكة والكتب واليوم الآخر والرسل والقضاء والقدر، وهي الأركان الباقية؛ كل هذه الأركان الخمسة تعود إلى الركن الأول:

0- فالملائكة هم جند هذا الإله الواحد، الذين يعبدونه ويوحدونه ويطيعون أمره.

- والرسل هم الداعون إليه.

- والكتب هي التي تضمنت أمره ونهيه ووعظه وصفته وأعماله بأهل طاعته وأهل معصيته.

- واليوم الآخر هو اليوم الذي حدده هذا الإله ليحاسب فيه خلقه.

- والقضاء والقدر هو فعله وتقديره.

وكل ما يتعلق ويتصل بهذه الأركان الخمسة من مسائل العقيدة فهو راجع إلى ذلك:

فالجنة هي دار أوليائه، والنار هي الدار التي أعدها لأعدائه، وكذلك القبر والحساب والميزان... الخ كل أمور الغيب هي من خلقه وتدبيره وتصريفه ووفق مشيئته سبحانه؛ فالعقيدة كلها والإيمان كله راجع إلى شيء واحد هو الإيمان بالإله الواحد سبحانه وتعالى.

هذا في العقيدة، وأما الأعمال؛ فهي كذلك أيضاً تعود كلها في النهاية إلى التوحيد:

- فأشرف الأعمال على الإطلاق هي العبادات، وأشرف العبادات وأعلاها منزلة هي أركان الإسلام الأربعة بعد التوحيد، وأشرف هذه الأركان بعد التوحيد هي الصلاة...

والعبادات كلها ما سميت عبادات إلا لأنها يتقرب بها إلى الإله الواحد سبحانه وتعالى.

- وأشرف التقرب هو الصلاة، وذلك أنه خطاب ومناجاة بين العبد والرب، وفيها تظهر العبودية ظاهرة جلية، وخاصة وقت السجود الذي يصور كمال ذل المخلوق نحو ربه وخالقه ومولاه سبحانه وتعالى، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: [أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد].

وذلك أن العبد لما ذل لله وخضع على هذا النحو؛ تقرب الله منه وأحبه وآواه.

- وهكذا سائر الأركان؛ فالصوم تذكير بالله وتعليم لتقواه، والزكاة كذلك رأفة وإعانة للفقير ابتغاء مرضاة الله، والحج ما قصد به إلا تعظيم الخالق سبحانه وتعالى وتوحيده.

* وإذا تركت العبادات وأتيت إلى حدود الإسلام؛ وجدت أن الحدود هي شرع الله، وهي الفواصل التي وضعها للتفريق بين ما يجوز وما لا يجوز، وأنها العقوبات التي رتبها على أهل معصيته في الدنيا، ولذلك كانت الحدود توحيداً، أو هي من أجل التوحيد وعبادة الإله الواحد.

* وهكذا سائر المعاملات هي من حدوده وشرعه سبحانه، الذي ارتضاه لخلقه، والذي يأبى أن ينازعه فيه منازع؛ كما قال سبحانه: {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه} (يوسف:40).

* وكذلك الأخلاق لا تكون أخلاقاً صالحة إلا إذا كانت وفق شرعه، ولا يثاب عليها صاحبها إلا إذا أديت ابتغاء مرضاته.

فالإحسان إلى الوالدين والأقارب والزوجات والأولاد والجيران والأصدقاء والخلان، والعدل بين الناس، ورحمة المسكين، والعطف على الفقير، والصدق، والشجاعة، وكل هذا من الأخلاق الطيبة: لا يكون طيباً إلا إذا كان في حدود أمر الله.

فالإحسان إلى الوالدين له حدود في الشرع، ولا يكون الإحسان إحساناً إلا إذا وافق شرع الله وحدوده، ولا يثاب عليها صاحبها إلا إذا عملها ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى؛ كما قال جل وعلا: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً} (النساء:114).

فبعد أن بين سبحانه وتعالى أن الصدقة والأمر بـالمعروف والإصـلاح بين النـاس من الخير؛ بين تعالى أنه لا ينال ثواب هذا الخير إلا من فعله ابتغاء مرضـاة الله سـبحانه وتعالى.

وبهذا العرض السريع الكامل لعقائد الإسلام وعباداته ومعاملاته وأخلاقه؛ يتبين لنا أن الهـدف والغاية من وراء ذلك كله هو توحيد الله سـبحانه وتعـالى، وهـذا يعـني أن التوحيد هو أعظم قضـية في الـدين، وأنه يجب فهمها فهمـاً سـليماً، وتعلمها تعلمـاً كاملاً، وربط جميع فروع الدين صغيرها وكبيرها بها..

وهكذا كان الرسل صلوات الله عليهم جميعاً ما بعثوا إلا بالتوحيد؛ قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} (النحل:36).

وقال تعالى: {قل إنما يوحى إلي أنما إلـهكم إلـه واحد} (الأنبياء:108).

وقد جعلها الله بصـيغة الحصـر؛ أي: لا يـوحى إلي إلا هـذا، فكـأن دعـوة الرسـول ما كانت إلا من أجل التوحيد، بل ليس الموحى به إلا التوحيد..

ولذلك؛ فالدعوة السـلفية المعاصـرة والسـالفة لا همَّ لأصـحابها وحـاملي لوائها -ولا يجوز أن يكون لهم همٌّ- إلا إخلاص الدين للـه، وتحرير قضـية التوحيـد، وتفهيمه على وجهه الصحيح.. التوحيد بكل معانيه.

فمعرفة الرب كما وصف نفسه ووصفه رسـوله هو أصل التوحيد وبدايتـه؛ فلا بد من معرفة الرب معرفة صحيحة، ولا طريق لهـذه المعرفة إلا كتـاب الله وسـنة رسـوله صلى الله عليه وسلم، فمن آمن برب مـا، ولكنه لا يعـرف هـذا الـرب؛ فما وحد الله كما ينبغي له، بل لا بد أن يشهد لله بما شـهد لنفسه سـبحانه من الصـفات الجليلـة؛ كالرحمـة، والعلم، والسـمع، والبصـر، والعلو عن خلقـه، ومحبته للطـائعين، وبغضه للعاصين الكافرين، واستوائه على عرشه الذي هو سقف مخلوقاته، وكلامه لرسـله، ورؤية المؤمنين له في الجنة، وإرادته النافذة في أحبابه وأعدائه.. الخ صفاته الجليلة الكريمة الـتي وصف بها نفسه مادحا لهـا، سـبحانه لا نحصي ثنـاء عليه هو كما أثـنى على نفسه.

ويأتي بعد هذا الأصل من أصول التوحيد أصول أخرى؛ من محبة هذا الإلـه، والتقـرب إليه وحده، ونبذ جميع أصناف الشرك؛ من دعاء غيره، والرغبة إلى سـواه، والخـوف مما عداه، ونبذ الخرافات والأوهام.

ومن أصول التوحيد نسبة الفضل إلى الله وحده؛ فمنه الخير لا من سواه، وهو الذي يدفع الضر ولا يدفعه أحد غيره.

ويـأتي بعد ذلك من أصـول التوحيد إقامة شـرعه في الأرض، والتحـاكم عند الخلاف إلى ما أنزله وإلى ما حكم به رسوله لا إلى شيء غير ذلك.

ويـأتي بعد ذلك من أصـول التوحيد إخلاص النيـات له في التقـرب والطاعة ورجـاء المثوبة منه والخـوف من عقابـه.. إلى أصـول وفرعيـات كثـيرة للتوحيـد؛ من جمعها وعلمها وعمل بمقتضاها؛ عرف الله حقاً وعبده حقاً..

والدعوة السلفية تجعل كل هـذا نصب عينهـا، فتـدعو النـاس أولاً إلى هـذه القضـية الكلية (توحيد الله)، ثم تبدأ بعد ذلك في تفصيل فرعياتها وجزئياتها، فلا يـزال الفـرد الذي يسـير في الطريق السـلفي يـرقى كل يـوم درجة من درجـات سـلم التوحيـد، ويضيف كل يوم مسألة من مسائله، فلا يمر عليه وقت يسير حتى يكـون بحـول الله وتوفيقه وحمده موحداً خالصاً، كل يوم في زيادة من دينه.

وبهذا تفترق الـدعوة السـلفية عن كل ما عـداها من دعـوات الإصـلاح الجزئية الـتي تنسب إلى الإسلام، وذلك أن هذه الدعوات تبدأ من جزئية من جزئيات الـدين، كـأن تحاول تصحيح الحكم والسياسة، وهذه جزئية من جزئيات الدين، وتـرى أن الوصـول إلى تحقيق هذه الجزئية لا يكون إلا بتجميع الناس وعـدم تنفـيرهم، حـتى يسـاعدهم الناس في الوصول إلى الحكم، ويـرون أن تجميع النـاس لا يتـأتى لهم إلا بالسـكوت عن أخطائهم العقائدية، وبذلك ينـدس فيهم المشـركون، والـذين يـدعون غـير اللـه، وينـدس فيهم أيضـاً أهل الأهـواء من طلاب الرياسـات والزعامـات؛ لأنهم يـرون أن طريقهم موصل لذلك، ويسكتون عن كثـير من البـدع العقائدية والخرافـات، حـتى لا ينفـروا النـاس من دعـوتهم في زعمهم، ويخـترعون لهـذا ما يسـمونه بــ (مصـلحة الدعوة)، فيحلون كثيراً من المحرمـات، ويحرمـون كثـيراً من الطاعـات، وقد يكـون هذا في مصلحتهم كحزب يسعى إلى الحكم والرياسة، ولكنه حتماً ليس في مصلحة الـدعوة الإسـلامية الـتي يقـوم أساسـها على التوحيد الكامـل، وليس أساسـها على الحكم والرياســة؛ فتصــحيح الحكم والسياسة من الــدين، ولكنه ليس أصل الــدين ومنطلقه، ولذلك نص الذين ينتهجون هذا النهج في الدعوة (إصلاح الحكم والسياسة أولاً) أقول: نصوا في كتبهم أن عمل البر من إحسان وزيارة وعبادات وبنـاء مسـاجد وغير ذلك إنما هو ظاهر غير مراد لـدعوتهم، وأن هـدف دعـوتهم الأساسي هو إقامة السياسة والحكم، وشتان بين أن يكون هـدف الـدعوة هو التوحيد وأن يكـون هـدف الدعوة هو الرياسة والزعامة وإن لبس هذا بلباس الإسلام.

والدعوة السلفية تسعى فيما تسعى إليه إلى إصـلاح السياسة والحكم، ولكنها تعتقد أنه جزئية يــنزل منزلته من أوامر الــذين من حيث الأهمية والأولويــة، ويســعى إليه بالقدر السليم الصحيح الذي يتناسب مع القائمين بالدعوة وجهودهم، وهي تدعو الله لكل سلطان صالح يريد الخير للناس، وتـدعو جميع السـلاطين القـائمين إلى تحكيم شرع الله في أنفسهم وما خولهم الله إياه.

وأما أولئك الآخــرين؛ فــإنهم يشــرقون ويغصــون لو أن حاكمــاً دعا إلى شــيء من الإسلام، وطبق شـيئاً من أحكامـه، وذلك أنهم يريـدون أن يبقى التنـاقض قائمـاً بين الحاكم والإسلام؛ لتستمر دعوتهم، ويكون مبرر لوجودهم، وذلك أنهم يرون أن توجه الحكام إلى الإسلام نهاية لوجودهم، وسرقة لدعوتهم، وقد يشعرون بهذا، ويحـاربون هذا عن علم، وقد لا يشعر بهذا كثير منهم.

ولذلك حملهم هـذا أيضـاً على العصـبية في الـدعوة، وحب الظهـور، والرغبة في ألا يأتي الخـير للنـاس إلا من طـريقهم، ولـذلك عـادوا إخـوانهم في الـدعوة، وذلك كما تعادي الأحزاب السياسـية بعضـها بعضـاً، يسـوؤهم أن يصل آخـرون إليـه، ولو كـانوا مسلمين مثلهم وخيراً منهم، أو أن يصلح القائمون في الحكم أنفسهم..

وكـذلك الشـأن في كل دعـوة اتخـذت جزئية من جزئيـات الإسـلام مـراداً ومنطلقـاً وغاية لها؛ كالدعوات إلى الإصلاح الاجتماعي؛ من محاربة شـرب الخمـر، والاختلاط، وأندية الفسق والفجور.. ونحو ذلك.

وكـذلك دعـوات الـبر والإحسـان والعطف على الفقـراء واليتـامى، هـذه الجمعيـات والدعوات التي تتوقف عند جزئية من جزئيـات الـدين يضل سـعيها، ولا تصل إلا إلى أقل القليل من النتــائج، وقد يبقى أفرادها في دوائر ضــيقة من العلم والعمــل، ثم يتفرقــون ويتمزقــون، بل قد يجتمع معهم أهل النيــات الفاســدة ومحــبي الظهــور والمدح.

وهذه الأمور من جزئيات الإسـلام، وإن كـانت مطلوبة مـرادة؛ إلا أنها يجب أن تبقى في الإطـار العـام من دعـوة الإسـلام الشـاملة العامـة، وأن تكـون أجـزاء في هيكل التوحيد وإخلاص الدين لله سبحانه وتعالى.

ولذلك كان المنطلق السلفي في إخلاص الدين لله أولاً، وتحقيق التوحيـد، ثم إنــزال جميع تكاليف الإسلام منازلها بعد ذلك؛ من إصلاح الحكم والسياسة والقضاء، وإقامة الحدود، وتطهير المجتمعات من الفسـاد، وتربية الرجـال والنسـاء على الـدين الحق من عبادات ومعاملات وأخلاق.

أقـول: هـذا المنطلق السـلفي هو المنطلق الصـحيح السـليم، وهي دعـوة الرسـل، وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صـلى الله عليه وسـلم، الـذي دعا إلى التوحيد أولاً وأخيراً، ثم أنزل الأعمال منازلها حيث مناسباتها، فنزل تحـريم الأطعمة بمكـة، حيث يستطيع المسلمون تنفيذ ذلك.. وكذلك نزلت الصلاة والأخلاق والدعوة والصـبر على الأذى وبعض المعاملات في المجتمع المكي، ثم تدرج التشريع من قتال وزكــاة وحج وغير ذلك في مجتمع المدينة..

ونحن نــرى أن الــدين قد كمل بعد حيــاة الرســول، ولا يجــوز تعطيل فرضــية من فرضــياته، ولكن يقــوم أهل الــدعوة والجهـاد من أوامر الــدين بما يســتطيعون وما يطبقون تحقيقاً لقوله تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم} (التغابن:16).

ويجب أن يكــون ذلك على نهج النــبي محمد صــلى الله عليه وســلم، ووفق ســنته، فيحقق التوحيد في أفراد الدعوة أولاً، ثم يـدعون إلى العمل الصـالح حسب القـدرة والاستطاعة والأولوية والمناسبة، ووفق سياسة تحقق للمسلمين أن يقومـوا بالـدين كله في جميع شؤونهم السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية والخلقيـة، وكل هـذا في إطار التوحيد الذي هو غاية العمل الإسلامي ومراده.

وهذه الميزة للدعوة السلفية هي من أعظم مميزاتها.

وباختصار؛ إذا أردنا أن نعـرف الـدعوة السـلفية؛ قلنـا: إنها دعـوة التوحيـد، والتوحيد يعـني هـذا الفهم الشـامل للـدين الـذي شـرحناه آنفـاً... رأفة وإعانة للفقـير ابتغـاء مرضاة الله، والحج ما قصد به إلا تعظيم الخالق سبحانه وتعالى وتوحيده.

### * ثانيا: تحقيق الوحدة:

الدعوة الإسلامية دعوة عامة للناس جميعاً.

قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: {قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً} (الأعراف:158).

وقال تعالى: {وما أرسلنك إلا كافةً للناس} (سبأ:28).

وقال صلى الله عليه وسلم في بيان ما امتاز به عن غيره من الرسل: [وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة].

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

ولما كان الناس مختلفين في شأن هذه الرسالة العظيمة، ويكون منهم المؤمن ومنهم الكافر؛ كما قال تعالى: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن} (التغابن:2).

فإن الله سبحانه وتعالى أوصى عباده الذين آمنوا بأن يكونوا إخوة؛ قال تعالى: {إنما المؤمنون إخوة} (الحجرات:10).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: [لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفس].

ويعني هذا انتفاء الإيمان عند انتفاء الأخوة.

ولذلك كان من علامات النفاق الفجر في الخصومة، وهو المبالغة فيها.

وقد جاءت الأوامر القرآنية الكثيرة والأحاديث الصحيحة الكثيرة بالحرص على هذه الأخوة وتشييد بنائها والنهي والوعيد الشديد على الفرقة والتفرق؛ كما قال تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءايته لعلكم تهتدون} (آل عمران:103).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو؛ تدعى له سائر الجسد بالحمى والسهر].

وقال صلى الله عليه وسلم: [لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض].

وقال صلى الله عليه وسلم: [سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر].

وحث الله ورسوله على كل ما يقرب المسلم من أخيه المسلم، وأجزل الله العطاء لذلك؛ فقد جاء في الحديث: أن رجلاً غفر الله له عندما خرج ليزور أخاً له في الله في قرية غير قريته، وأن الله عجب من رجل وامرأة أطعما ضيفهما وباتا جياعاً مع أولادهما.

والحق أن الإسلام لم ينشر إلا بهذه الأخوة العجيبة، التي ربطت بين الصحابة رضوان الله عليهم في صدر الإسلام، فلولا إيواء الأنصار لإخوانهم المهاجرين، وحب المهاجرين وعفتهم مع إخوانهم الأنصار؛ لما كانت هذه الفتوح العظيمة وهذا الانتشار السريع للإسلام شرقاً وغرباً.

ولذلك كان من أعظم البلاء على أمة الإسلام ما وقع بينهم من فرقة وخلاف وشقاق جعل السيف بينهم بعد أن كان على أعدائهم، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة: [خذ هذا السيف؛ فقاتل به، حتى إذا وجدت أمتي قد اختلفت وضرب بعضها بعضاً؛ فحطمه على صخرة من صخور سلع].

أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وهكذا فعل محمد بن مسلمة.

ولذلك قال تعالى: {ولا تنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} (الأنفال:46).

أي أن الفشل وغياب النصر سببه الفرقة، وهذا هو شأن المسلمين في العصر الحاضر: أمة عظيمة العدد، واسعة الإمكانيات، غنية التراث، ولكنها مع ذلك أمة ضعيفة مشتتة مهزومة، وما ضعفها إلى بفرقتها وتنازعها.

وقد دخل التنازع والفرقة على المسلمين من أبواب كثيرة، وأهم هذه الأبواب ما يلي:

أولا: الاختلاف في العقائد ومسائل الإيمان:

وقد بدأ هذا الاختلاف يسيراً في مسائل قليلة؛ كالحكم على مرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب منها؛ أكافر هو أم مسلم؟ وهل يجب قتاله أم لا؟ وفي سبيل ذلك نشأت بدعة الخوارج ثم المعتزلة.

ثم بدأ الخلاف حول صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه.

ثم توسع الخلاف العقائدي ليشمل مسائل كثيرة، ويمزق المسلمين إلى نحل وعقائد شتى.

ونظرة سريعة إلى كتاب من كتب الفرق؛ كـ "الملل والنحل" للشهرستاني، و "الفرق بين الفرق" لعبدالقادر الجرجاني، أو "اختلاف المسلمين وعقائد المصلين" لأبي الحسن الأشعري؛ يريك كم من الفرق العقائدية ظهر قبل تمام القرن الثالث الهجري.

واختلاف العقائد بالطبع يؤدي إلى اختلاف القلوب والأعمال.

والدعاة السلفيون منذ الصدر الأول دعوا الناس إلى التمسك في أمور العقائد بالكتاب والسنة، وترك التأويل الباطل والهوى والتعصب، وكان لدعوتهم من البركة أن بقي جمهور المسلمين وعامتهم على سنن الحق متمسكين في عقائدهم بالكتاب والسنة.

والدعاة السلفيون في هذا العصر، السائرون على منهج السلف الأول في دعوتهم وجهادهم، يدعون الأمة كذلك إلى أخذ عقائدها من الكتاب والسنة فقط، ونبذ جميع البدع العقائدية، والاجتهادات والتصورات الغيبية، التي جاء بها المشعوذون والدجالون والمتكلمون على الله بلا علم، وذلك لجمع شمل الأمة على كلمة سواء، فيكون إيمانهم واحداً، وبذلك تكون قلوبهم واحدة.

## ثانيا: الاختلافات العملية:

وهذه الاختلافات في أمور العمل من عبادة ومعاملة ونحو ذلك، وإن كان ضرره أخف من أضرار الاختلاف في العقائد؛ إلا أنه يجر أحياناً إلى الشقاق والخلاف.

ولذلك كره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلاف مطلقاً، حتى في هذه الأمور العلمية الفقهية.

وهدد عمر بالضرب على خلاف يسير، وقال في مسألة الغسل؛ هل يجب من الإنزال أم من مجرد التقاء الختانين: اسألوا عائشة، فلما ذكرت حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: [إذا التقى الختانان؛ فقد وجب الغسل]. قال عمر: لو سمعت أن أحكم أفتى بغير ذلك؛ لجعلته نكالاً!!

ولما كان الاجتماع على رأي واحد في كل المسائل الفرعية العملية متعذراً؛ فإن الله سبحانه وتعالى أمر برد الاختلاف إلى كتابه وسنة رسوله، وقد أمر أيضاً بأن يعذر بعضنا فيما لم نستطع التوصل فيه إلى رأي واحد.

وكان هذا هو منهج الصدر الأول من سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم؛ يختلفون أحياناً، ولكن يعذر بعضهم بعضاً، ولا يتعصبون لأقوالهم، ويردون ما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله.

وكان هذا أيضاً شأن أئمة الإسلام الأعلام وفقهاء الإسلام في جميع الأقطار -ومن هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم-: يفتون ولا يتعصبون، ويدعون تلاميذهم إلى نبذ التعصب لأقوالهم إذا خالفت الدليل، ولذلك استمرت وحدة الأمة التشريعية الفقهية زماناً طويلاً.

ولكن نشأ في المسلمين من حرم الاجتهاد والرجوع إلى الكتاب والسنة، وحرم استخدام الدليل؛ زاعماً أن فهم الدليل والحجة قد ولى، وحرم على الناس العمل إلا بأقوال الأئمة الأربعة، وانتشرت هذه البدعة المقيتة في زمان ضعف الأمة، بزوال ملك العباسيين، وغلبة ملوك من العجم والمماليك الذين لا يحسنون العربية ولا يفقهون في الدين، فنشأ التقليد والتعصب، والتف المقلدون المتأكلون بالدين حول أولئك السلاطين الجهلة، وأغروهم بحرب أهل السنة ودعاة السلفية الداعين إلى الاجتهاد ونبذ التقليد والتعصب، فأصاب أهل الدعوة السلفية من هؤلاء شر مستطير، وذلك لأن هؤلاء المقلدين الملتفين حول سلاطين السوء أغروا عامة الناس بأن من يطلب الدليل والحجة ويأمر بالاجتهاد؛ فإنه يرفض علم الأئمة الأربعة، ويمقتهم، ويزدريهم، ولما كان عامة الناس يحبون الأئمة ويحترمونهم ولا يستطيعون أن يميزوا بين دعوة التقليد وبين الدعوة إلى الاجتهاد والأخذ بالدليل؛ فإن هؤلاء العامة ركبهم أولئك السفهاء، ووجدت الدعوة السلفية العظيمة من هذا البلاء: بلاء السلاطين الأعاجم الجهلاء، وبلاء علماء السوء المتأكلين بالدين الموالين الطواغيت، وبلاء العامة الذين لا يميزون ولا يعرفون معنى التقليد ومعنى الاجتهاد.

وظل الأمر هكذا حتى تهدمت الخلافة العثمانيـة، وغلب الفرنجة من أهل أوروبا على أرض الإسلام، ووجد المسلمون أنفسهم في مؤخرة الأمم، فصرخوا يريدون العــودة إلى الكتاب والسنة.

وبالرغم من هذه الصحوة وهذا التنـادي من كل مكـان بوجـوب تنظيم معاملاتنا وفق الكتاب والسنة؛ فإن هنـاك من لا يـزال يعيش بعقلية التقليد والجمـود، ويـأبى إلا أن يظل المسلمون في فوضى تشريعية، ويزعم أن كل قول في الدين جـوز الأخذ بـه، ومن يـزعم أن الاجتهـاد باطـل، وأن الـدين محصـور فيما دونه الأئمة الأربعة فقـط، ومن يتهم الدعاة السلفيين بمعاداة الأئمـة، بل ومن يـوجب على المسـلمين أن يتبع كل منهم إماماً من الأئمة الأربعـة، وأن من أخذ بالـدليل ورجع إلى الكتـاب والسـنة؛ فهو مبطل مبتدع.

أقول: ما زال في المسلمين من يعتقد هذا ويدعو الناس إلى ذلك.

ومعلوم يقينـاً أن لكل إمـام الـرأي والرأيـان المختلفـان في المسـألة الواحـدة؛ كما نقول: قال الشافعي في القديم وقـال في الجديـد، بل والثلاثة والأربعـة، وأن كثـيراً من المسائل الفقهية العملية فيها اختلاف واضح، ومعلـوم أن القـوانين العملية يجب أن تكون واحدة، وإذا كان هناك اختلاف بين الفقهاء في هذه المسائل؛ فكيف تضمن الوحدة التشريعية؟!

إن قلنا: نختار قـول إمـام واحـد؛ كـان هـذا من التعصـب، وليس هـذا الإمـام الواحد معصوماً حتى نأخذ جميع أقواله في جميع معاملاتنا.

وإن قلنا بجميع الأقــوال؛ كــان هــذا تناقضــاً واختلافــاً؛ فكيف يحكم القاضي فيمن تزوجت دون إذن وليها ؟! فبعض المذاهب يجيز ذلك، ويـرى العقد مع هـذا صـحيحا، وآخــرون يــرون العقد مع عــدم إذن الــولي بــاطلاً يجب فسخ الــزواج؛ ســواء قبل الدخول أو بعده؛ فما العمل ؟!

وإن قلنا: نرجح بين الأقوال؛ فكيف نرجح؟!

إن كان بالهوى والتحكم؛ فليس الهوى من الدين.

وإن كان الترجيح بالدليل والحجة؛ فهذه هي السلفية، وهو الحق: الترجيح بين أقوال الأئمة المتعارضة، وأخذ أقربها إلى الحق في نظرنا، والبحث عن الدليل دائماً، وهــذا هو الميزان الضابط لوحدة الأمة في أمورها التشريعية.

وهذا جـانب من جـوانب الـدعوة السـلفية: الـدعوة إلى وحـدة الأمة التشـريعية في أمورها العمليـة، وذلك بحب الأئمة الأربعة جميعــاً، والنظر إليهم نظـرة سـواء، وأخذ الأقـوال المؤيـدة بالـدليل، والـتي نـرى أنها الحـق، وعـدم التعصب لواحد منهم دون الآخــر، مع الاعــتراف بفضـــلهم وعلمهم وجهـــادهم، والتتلمذ على كتبهم، ودراسة مناهجهم في الفقه، وأخذ أقـوالهم، والعمل بهـا؛ ما لم تخـالف الـدليل من كتـاب أو سنة، وبهذا أمرونا هم ودعونا إلى ذلك.

وهذا هو المخرج الحقيقي من تمزق الأمة التشـريعي وفرقتها العمليـة، ومعـنى ذلك أنه لا بد وأن ينشأ في الأمة العلماء المجتهدون العالمون، الذين يستوعبون مرحلتهم الراهنة، ويفقهـون أوضـاع المسـلمين الحاضـرة السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية والتربوية والخلقيـة، ويشـرعوا للمسـلمين في هـذه الأحـوال جميعـاً وفق الكتـاب والسنة؛ مسترشدين بعلم الأئمة الأعلام والفقهاء الكـرام؛ غـير متعصـبين لأحد منهم دون الآخــر، وإنما يكــون ولاؤهم للحــق، وتمســكهم بالــدليل؛ فهم مع الحق لا مع الرجال، يعرفون الحق بدليله، ولا يعرفون الحق بقائله.

وهذا أبرز جوانب الدعوة السلفية، وأكثرها وضوحاً ولمعاناً.

إنهم طلاب حــق، يطلبونه بالــدليل، ومع تقــديرهم واحــترامهم لأهل الفضل والعلم؛ فإنهم مع ذلك لا يقبلون أقوالهم إذا تحقق لديهم أنها تخالف الدليل.

ولما كـان الحق واحـداً لا يتعـدد، وكـان السـلفيون طلاب حق لا عبـاد رجـال؛ لـذلك حافظوا على وحدة الأمة؛ فالرجال المتبعون كثيرون، ولو كان كل رجل سـيتبعه من الأمة جماعـة؛ لتعـددت الجماعـات، وإذا كـان الرجـال يختلفـون؛ فمعـنى هـذا أن الجماعـات سـتختلف، وبـذلك تتمـزق الأمة وتتشـتت، أما إذا كـان الارتبـاط بـالحق وللحق، وكان الرجال يقاسون بالحق ولا يتعصب لأقوالهم؛ كان هنـاك جماعة واحـدة هي جماعة الحـق، وكـان هنـاك رجـال يحـترمون ويقدسـون وتؤخذ أقـوالهم بقـدر اتباعهم وتقديسهم وأخذهم بالحق.

ولذلك؛ فإننا نقول: الـدعوة السـلفية دعـوة وحـدة للأمة في نظـام تشـريعي عملي واحد، مستند إلى الكتاب والسنة، يأخذ بأقوال الأئمة، ولا يتعصب لرأي منهم.

فهل على هذه الدعوة يا قوم من غبار؟!

* ثالثاً: تيسير فهم الإسلام:

أنزل الله سبحانه وتعالى الدين الإسلامي للناس كافة، وبعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم للعالمين، وبما أن الناس متفـاوتون في الـذكاء وسـرعة الإدراك والفهم، فــإن الله جعل هــذا الــدين ســهلاً ميســراً، ليس في العمل فقــط، بل في الفهم والإدراك.

فحقـائق الـدين الأساسـية سـهلة ميسـرة، سـواء كـانت حقـائق عقائدية إيمانيـة، أو حقائق علمية تشريعية.

فتوحيد الله سبحانه وتعالى من الممكن أن يعلم بكلمات قليلة وبمجالسـات يسـيرة لأهل العلم الحقيقي المستند إلى الكتاب والسنة.

وكذلك فرائض الإسلام الخمس يستطيع الفرد الـذي أوتي نصـيباً قليلاً من الفهم أن يلم بأحكامها في وقت يســير: فالوضــوء والصــلاة يمكن تعلم أصــولها في وقت لا يتعدى الساعة أو الساعتين، وكذلك الصـوم، وصـاحب المـال يسـتطيع معرفة زكـاة ماله في وقت يسير إذا بين له ذلك رجل من أهل العلم، وكذلك الحج أيضاً.

والخلاصـــة: أن الإســـلام دين ميسر في الفهم والعلم، وكـــذلك هو دين ميسر في التطبيق والعمل، فلا مشقة فيه بوجه من الوجوه.

ومصداق هذا قوله تعالى: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} (القمر:22).

وهــذه الآية دليل واضح على أن القــرآن -وهو أســاس الإســلام الــذي حــوى جميع علومه- ميسر للذكر، والذكر يتضمن العلم والعمل.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: [إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدُ إلا غلبـه، فسددوا وقاربوا وابشروا].

وهذا دليل على يسر الإسلام في العمل والفهم أيضاً.

ولكن؛ هذا الدين الميسر قد جاء من الناس من عقَّده، وضيق طـرق الوصـول إليـه، وحجب الناس عن الاستفادة من الكتاب ومن السنة، وجعل الإسلام أشبه بالأحــاجي والألغاز، وذلك بإكثار المصطلحات الخاصة في كل فرع من فروع العلوم الإســلامية، ونشأت علوم ومعارف ليست من الإسلام في شيء، وقد أسميناها علوماً ومعــارف تجاوزاً، وحدث التغالي بعد ذلك في علوم الآلات الموصلة إلى فهم القـرآن والسـنة، فنشأ التغــالي في علــوم النحو والصــرف وأصــول الفقــه، إلى الحد الــذي أعجز المتخصصين فيه عن أن يصلوا إلى غاية ذلك من فهم القرآن والحديث، بل من فهم الفروع الإسلامية الأخرى، حتى إننا نجد العـالم المتخصص في علـوم العربية لا يفقه من الكتاب والسنة إلا قليلاً، وقد يكون عالماً بأصـول الفقه لا يحسن التوحيـد، بل لا يحسن الوضوء ولا استنباط حكم صحيح من كتاب الله وسنة نبيـه، بل الأدهى والأمر من ذلك أن تخرج الجامعات الإسلامية علماء يعتلـون المنـابر ويخطبـون في النـاس وهم لا يمــيزون بين حــديث صــحيح ثــابت عن الرســول وبين الأقــوال الموضــوعة المرذولة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً.

وهكذا ساهم تعقيد الدراسة الإسلامية في نشأة أشباه العلماء، الذين يعرفون فرعــاً من فروع الدين ولا يملكون رؤية شمولية له.

وكذلك ساهم هـؤلاء في نشـأة كهانة دينيـة، جعلت الـدين الـذي أنزله الله للعـالمين محجوباً عن الناس بعلماء ادعـوا أنهم الأوصـياء عليـه، وإذا جئت تنـاقش حجتهم في قول ما لتفهم وتعي عن الله وتتدبر قوله؛ قالوا لك: لا تناقشـنا! خذ قولنا ولا تسـألنا عن الدليل! وذلك ليغمضوا عينيك، وليحولوا الناس إلى سائمة يسيرون وراءهم وهم لا يدرون.

والدعوة السـلفية تجعل همها الأول تـذليل فهم الإســلام للنـاس؛ فهي تفتح الطريق أمام الناس جميعاً لدراسة الكتاب والسنة دراسة علمية سهلة واضحة، وبذلك يكون العلم مشاعاً للجميع، ويرتبط الناس بالقرآن فيتدبرونه، وبالسنة فيفقهونهـا، ويصـبح فهم الدين والعمل به ليس حكراً على طائفة معينة تلبس لباساً خاصاً وتتكلم بلهجة خاصة، وإنما يصبح الإسلام للناس جميعاً علماً مشاعاً كالهواء الذي نتنفسه.

وقد وجدنا أثر ذلك بحمد الله في إخواننا؛ فما أن درسوا الإســلام بـالمنهج السـلفي؛ حتى كانوا علماء فيه في مدة يسـيرة جـداً، هـذا مع امتلاك الرؤية الواضـحة لمجمل

هذا الدين؛ عقيدة، وشريعة، وسلوكياً، ومع الاستزادة اليومية من علومه؛ استزادة لا تشغل الطبيب عن طبه، ولا المهندس عن هندسته، ولا التاجر عن تجارته، وذلك لأن المنهج السلفي في فهم الإسلام يعطي الـدارس مفـاتيح فهم الـدين؛ فالطـالب في المنهج السـلفي يعـرف أصـول الإسـلام، ومراجع معرفة العقائد والأحكـام، ويعـرف كيف يكون ذا فكر مسـتقل غـير مقلـد، وكيف يحـترم العلمـاء ولا يتعصب لأقـوالهم، وكيف يأخذ الحق أنى وجـده ما دام مؤيـداً بالـدليل، وكيف يـترك الباطل مهما كـان مصدره إذا وجد دليل بطلانه، وبذلك يفهم الإسلام في سهولة ويسر.

وإذا كان هذا التيسـير مطلوبـاً في الأزمـان الماضـية؛ فهو أشد ضـرورة ونحن أكـثر حاجة إليه في أزماننا هـذه، الـتي يسـتغرق فيها التعليم الـدنيوي كل عمر الإنسـان، وتسـتهلك فيها الحضـارة الحديثة كل وقتـه، ويـركض النـاس فيه خلف الحيـاة بكل طاقاتهم وجهدهم.

ولـذلك كـان المنهج السـلفي لتعليم الإسـلام وتعلمه هو المنهج الأكمل الأسـلم؛ لأنه يأخذ من الفـرد أقل الأوقـات، ويعطيه أعظم الفوائـد، فلا يفـني الفـرد عمـره في معرفة حواش وجزئيات وفرعيات وخـزعبلات لا تغـني عنه في دينه ولا دنيـاه شـيئاً، وإنما ينصرف إلى حقائق الدين رأساً، فيتعلم أصول التوحيد ليصحح إيمانه وعقيدتـه، وأصول العبادات ليصح عمله ويكـون صـالحاً، وأصـول التزكية والأخلاق لـتزكو نفسه وتطهـر، وكل ذلك من الكتـاب والسـنة، حيث يتعامل السـلفي مع كلام الله الـذي سماه روحاً ونوراً، ومع كلام الرسول الذي هو الحكمة والهداية.

وهذه هي الفائدة الثالثة والمـيزة الأولى للسـير في الطريق السـلفي، طريق النـبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي علم أمة كاملة بأيسر الجهود وأقل التكاليف.

وهكذا كان صحابته كما قال ابن مسعود: "أبر الناس قلوبـاً، وأعمقهم علمـاً، وأقلهم تكلفاً".

وهكـذا نريد الجيل السـلفي الحـديث، على نحو الرعيل الأول: أبر النـاس قلوبـاً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً.

*************

********

****